شهرية تصدر عن الجمعية الوطنية الحجازية
العدد (٨٠) ٢٠٠٩/٦/١٥

الحجاز

هذا الحجاز تأملوا صفحاته سِفرُ الوجودِ ومعهدُ الآثارِ



السعودية في عهد أوباما

إعادة الأدوار الشريرة



بعد فوز الموالاة

المال السعودي ناخباً أكبر في لبنان



درس: لستم وحدكم في هذا العالم

رحلة ابن الصباح الى مكة المكرمة

وجوه حجازية



العودة: من المعارضة العابرة الى السلطة



خطط تغيير معالم مكة

دسائس الميثولوجيا في العقيدة السلفية



السعودية تلوي ذراع الإمارات



مها السديري وعبدة الطواغيت!

هـذا الـعـدد

الفساد.. دولة!

حين يفتح ملف للفساد في الدول الديكتاتورية، حيث لا مناص من تقليب أوراقه، وصولاً إلى حسمه، هناك دائماً (كبش فداء) يضع نهاية هادئة، وللحيلولة دون تجاوز ذلك الى الكبار..هذا كان في أوقات سابقة، حيث أن الفساد محصور في فئة صغيرة، وإن كانت متنفّذة في أجهزة الدولة، ولكن الحال تغيّر بصورة دراماتيكية في العقدين الأخيرين، وزاده سوءً تدفق الأموال مجدداً بكميات كبيرة وغير منضبطة، ما أعاد فتح شهية شريحة واسعة من الأمراء والحواشي، والوزراء، وموظفي الدرجة الممتازة وغير الممتازة، والقضاة، ورجال الدين، والكتّاب والصحافيين، والضباط ورجال الأمن والمباحث، وحتى الكتبة الصغار في المؤسسات الحكومية والإدارات العامة، وخصوصاً البلديات..

من الناحية النظرية، يرى صموئيل هنتجتون بأن الفساد جزء من الأجندة التحوّلية في الأنظمة التي تتحرك نحو الدمقرطة. وفق هذه العقيدة، لم يجد هنتجتون بأساً في المستويات غير المسبوقة من الفساد الذي شهدته انجلترا في القرن الثامن عشر، والعائد الى بدء الثورة الصناعية، والشيء ذاته يقال عن أميركا في القرن التاسع عشر. أكثر من ذلك، يعتقد هنتجتون بأن الفساد عند هذا المستوى من التطوّر قد يكون مفيداً، ولا يجب النظر إليه بازدراء، والسبب في ذلك، حسب رأيه، أن الفساد يوفّر وسيلة لاستيعاب مجموعات جديدة داخل النظام. فكان بيع المقاعد البرلمانية، على سبيل المثال، مألوفاً في أي ديمقراطية ناشئة، بل يكون راجحاً في مقابل الهجمّات المسلّحة ضد البرلمان نفسه. ويشير هنتجتون إلى أن الفساد هو شكل أقل حدّة من العنف، فالذي يفسد ضباط شرطة النظام قد يعترف بالنظأم أكثر من الذي يقوم بمهاجمة مراكز الشرطة.

ويضرب هنتجتون مثلين في العالم المتقدّم، الولايات المتحدة والهند، ففي أميركا أواخر القرن التاسع كانت السلطة التشريعة ومجالس المدينة قد تعرّضت للفساد بواسطة شركات الخدمات العامة وسكة القطار، وكذلك الشركات الصناعية الجديدة، وهي ذاتها التي دفعت بالنمو الاقتصادي الذي ساهم في تحويل الولايات المتحدة إلى قوة عالمية. وفي الهند، كان كثير من النشاطات الاقتصادية عرضة للشلل دون الرشاوى. ويخلص الى أن الفساد بجرعات معتدلة قد يتغلب على البيروقراطية الجامدة وقد يصبح أداة للتقدّم.

وفيما يبدو، فإن نموذج السعودية مختلف الى حد ما لناحية أن الفساد لم يرتبط بعملية تحوّل سياسي أو اقتصادي، أي ليس مرتبطاً بتغييرات في بنية النظام وتطويره، ولا هو وسيلة لتسريع عجلة التقدم. كل مافي الأمر، أن الفساد استوعب جماعات جديدة داخل النظام، وتزداد عملية الاحتواء كلما ازدادت (كمية المال) المتوفّر لدى أهل الحكم. في المستوى السياسي، الفساد عامل رئيسي في وأد فرص التحوّل نحو الديمقراطية، وفي المستوى الاقتصادي، عمّق الهوة بين الطبقات الاجتماعية، وخلق فرصاً جديدة لظهور أشكال جديدة ومتطوّرة من الفساد، وحرف مسار التنمية الحقيقية إلى مسارات أخرى غير ذات صلة سوى كونها تحقق أكبر عائد مالي للأفراد المنخرطين في دورة الفساد.

ما يجعل الفساد دولة، أنه يغمر كل مفاصل الجهاز البيروقراطي، إلى درجة أن كل مسؤول في دائرته يصبح أميناً على الفساد وحارساً على وجوده. وما يبعث على السخرية والأسى، أن النزاهة صارت موضع ريبة، إذ لا يتخيّل في دولة يكسوها الفساد وجود أفراد يلتزمون بتطبيق القانون، ويرفضون المساس بالمال العام، ويحاربون الرشى.

الفساد المالي والإداري في الدولة قديم، وتفجّر أول مرة في عهد الملك سعود الذي كان ينفق من خزينة الدولة بلا حدود، حتى أثار غضب أخوانه، وحين تسلّم فيصل الحكم لم يجد في الخزينة سوى خمسمائة ريال فقط، حسب ما ينقل. وما إن ارتفعت مداخيل الدولة في الطفرة النفطية الأولى سنة ١٩٧٤، حتى بدأ صراع الأمراء على تقاسم الثروة فيما بينهم، وطار كل منهم شرقاً وغرباً بحثاً عن استثمارات مع الشركات الأجنبية، تحت عناوين شتى مدنية وعسكرية، وعمد كل أمير إلى تشكيل فريق يسهّل مهماته في حصد الأموال والأراضي، فتمّت مصادرة الممتلكات العامة وحتى الخاصة، ولحظ الناس في الثمانينات لافتات مكتوب عليها أسماء أمراء في أراض لم يطأوها ولم يسمعوا بها تقع في غرب البلاد وشرقها.

ومنذ بدأ العجز في ميزانية الدولة سنة ١٩٨٣ وحتى ٢٠٠٤، حصد الأمراء ما يقرب من تريليون ريال، وكان نصيب الملك فهد وحده ٤٥٠ مليار ريال، فيما كان يزداد الدين العام فبلغ ٧٢٠ مليار ريال. ولم يكن نصيب الأمراء الباقين بقليل، ففي الثمانينات بدأت النعوت تلتصق بالأمراء الكبار، فأصبح ولي العهد الحالي (سلطان الحرامية)، وقيل عن أمير المنطقة الشرقية محمد بن فهد بأنه شبيه جمال مبارك، في مشاركته حتى صغار الكسبة في أرزاقهم، وما أولاد الأمراء سلطان ونايف وسلمان بأحسن حال منه.

لقد بنى كل أمير نافذ إمبراطورية مالية، يعمل فيها جيش من الأفراد، حتى صار الفساد دولة بكل مافي الكلمة من معنى. في حقيقة الأمر، أن الفساد أدى إلى نشوء دويلات صغيرة يقودها أمراء، لا يخضعون لقانون من أي نوع، ولا لسلطة من أحد، وحتى الملك نفسه بات عاجزاً عن مجرد السؤال عما يجري داخل هذه الدويلات الصغيرة.

هل يتذكّر أحد دوراً لـ (الهيئة الوطنية لحماية النزاهة ومكافحة الفساد)؟ وهل يجرؤ الملك على الاستفسار عن الاتهامات التي طالت أمراء بتهمة الفساد المالي، بالرغم من وجود ثائق دامغة تؤكّد ذلك، كما حصل بالنسبة للأمير بندر بن سلطان، وأبيه وأخيه. وهل من يسمع عن (هيئة الرقابة والتحقيق) أنها حققت في دعاوى الرشاوى على الأمراء، أم أنها تكتفي بتزيين صورتها بتقديم قرابين من صغار الفاسدين، الذين تربوا في أحضان الأمراء السمان.

ليس دفاعاً عن معن الصانع ولا أحمد حمد القصيبي القول بأنهما ليسا وحدهما من غرق في الفساد، وغسيل الأموال، بل هناك شكوك في أنهما ذهبا ضحية رفضهما مقاسمة الأمير محمد بن فهد أملاكهما. وكان الأخير يهدد كل من يرفض خيار المناصفة بحرق مستودعاته، واستصدار بحقه قراراً بمصادرة الممتلكات..

ونختم بالقول أن الفساد بات دولة، ليس لأنه أدّى الى تدني الانتاجية، وتبدّد فرص التنمية الشاملة، بل إنه شق درب ضياع الآمال بالإصلاح. بمعنى آخر، أن انتشار رقعة الفساد داخل الجهاز البيروقراطي، خلق شريحة واسعة تدافع عن النظام الفاسد، وترفض تغييره، لأنها تحقق باستمراره مصالحها، ولا تكترث بمسائل التنمية والتحديث والإصلاح.

السعودية في عهد أوباما

إعادة إنتاج الأدوار الشريرة

يحي مفتي

وصول باراك أوباما إلى البيت الأبيض أفضى إلى (سكتة سياسية) مؤقتة في السعودية، ليس لأن القادم الجديد يختلف عن سلفه في مقاربة الملفات الملتهبة في الشرق الأوسط، ولكن لأن ثمة أجواء جديدة، وإن بدت موارية، فرضت نفسها على المنطقة، وأجهزت بصورة عاجلة على مضخّات السياسة الخارجية السعودية التي عملت في السنتين الأخيرتين بأقصى طاقتها لناحية تحقيق (ضربات) إستراتيجية موجعة لخصومها في المنطقة.

تقليدياً، تميل السعودية الى إدارة جمهورية، بحكم العلاقات العائلية التاريخية على قاعدة مصالح إقتصادية والتناغم السياسي إزاء قضايا الشرق الأوسط. فقد خاضت السعودية وعلى نفقتها الخاصة (حروب النيابة) في مرحلة الحرب الباردة، وفي عهدي رونالد ريغان وجورج بوش الأب على وجه الخصوص، فلم تكد تغيب الشمس عن إمبراطورية المال السعودي، وتحوّلت السعودية إلى (صرّاف آلي) متنقل في عدد من قارات العالم، لتمويل حروب الولايات المتحدة ضد خصومها في المعسكر السوفييتي. وبعد نجاح الديمقراطيين في الانتخابات الأميركية سنة ١٩٩٢، حاولت السعودية مواصلة الدور نفسه، في وقت لم تعد فيه وظيفة (النيابة) حصريّة، بعد أن أصبحت الولايات المتحدة القطب الأوحد في العالم. نتذكّر أن الأخيرة أبرمت بعد حرب الخليج الثانية سنة ١٩٩١ مجموعة إتفاقيات أمنية ودفاعية مع دول مجلس التعاون الخليجي، وصارت القوات الأميركية منتشرة على امتداد الساحل الغربي من الخليج.

بعد حرب العراق في إبريل ٢٠٠٣، لم تكن السعودية في كامل جهوزيتها السياسية والمالية للإضطلاع بدور استثنائي على المستويين الإقليمي والدولي، لأسباب عدة منها: انغماسه في عملية إعادة ترميم صورته الخارجية عقب حوادث الحادي عشر من سبتمبر، وانصرافه شبه المطلق لمواجهة تيار العنف السلفي الذي سدّد ضربات قاصمة لعصب الإستقرار الأمني، وأخيراً، وليس آخراً، ضعفه الاقتصادي، الذي بدا واضحاً في العجز المالي المتصاعد، وتالياً تراكم الدين العام (بلغ حتى منتصف ٢٠٠٤ نحو ١٦٠ مليار دولار أميركي)، وما صحبه من تداعيات إجتماعية وأمنية بالغة الخطورة، حيث تجاوز معدّل البطالة ٢٠ بالمئة، فيما تضاعفت معدلات الجريمة الفردية والمنظّمة الى ٦٠٠ بالمئة منذ بداية الثمانينات وحتى بداية الألفية الثالثة. لهذه الأسباب وغيرها، نأت السعودية عنوة عن أي دور عابر للحدود، ريثما تستعيد بعضاً من رصيدها السياسي السابق.

ومن الناحية الفعلية، لم تظلّ السعودية على الوضع الإقليمي، إلا بعد أن نفّذت سلسلة تدابير متوالية بدأت بحملة علاقات عامة تكفّلت شركة (كورفس كوميونيكشن) الأميركية بالقيام بها داخل الولايات المتحدة من أجل تحسين صورة السعودية، بعد الأضرار الفادحة التي لحقت بها جراء ضلوع ١٥ سعودياً من أصل ١٧ انتحارياً في هجمات ١١/٩. من جهة ثانية، نجاح خطة متعدّدة الأبعاد في تطويق ظاهرة العنف المسلّح، حيث شاركت أجهزة الأمن السعودية، ورجال دين، أو من كانوا يعرفون في التسعينيات من القرن الماضي بـ (مشايخ الصحوة)، ونخبة من الخبراء في علم النفس والاجتماع، في إحباط المفاعيل الأيديولوجية والنفسية والإقتصادية لدورة العنف المتفجّر في أرجاء متفرّقة من السعودية، عبر برامج المناصحة، والرعاية، وإعادة التأهيل الفكري والإجتماعي والإقتصادي. وبالرغم من أن مغذّيات العنف لا تزال ناشطة، تماماً كماهي مبرراته لدى الجماعات السلفية المتشدّدة، إلا أن وتيرة العنف تراجعت بصورة لافتة خلال السنتين الأخيرتين. من جة ثالثة، كان للطفرة النفطية الثانية التي بدأت في منتصف ٢٠٠٤ دور جوهري في بعث الطموحات السياسية النائمة لدى السعودية، سيما وقد شعرت بمرارة الخسائر الناجمة عن غيابها عن الساحة الإقليمية، خصوصاً بعد غزو العراق.

التعويل على أوباما في اجتراح درب سياسي جديد يفشي حزمة شكوك من أن يكون وارثاً لنهج يميني متطرّف في زي ديمقراطي

ولعل أول بادرة تحرّك سعودي خارجي جاءت من الأمير سعود الفيصل، وزير الخارجية، الذي أطلق تصريحاً ينطوي على موقف مبيّت حين وجّه عتاباً للإدارة الأميركية كونها سمحت لنفوذ إيراني أن يتعاظم في العراق، على حساب الدول التي وقفت معها في سنوات الحرب العراقية ـ الإيرانية. هذا التصريح المشحون يمثّل رجع صدى لتحوّلات داخلية سمحت بانبعاث تطلّعات راكدة لدى السعودية. وفجأة بدأت آلة السياسة الخارجية السعودية، التي وصفها وزير الخارجية السوري، آنذاك، فاروق الشرع بأنها مصابة بالشلل، بالدوران مجدّداً، بل أصبحت هذه المرة بأسنان حادة، وباتت تعمل وفق متطلبات راهنية، فكانت المواقف تصدر بناء على ما يجري الآن، وليس ما تبطنه من أخطار مستقبلية، أو تداعيات إستراتيجية. لا ريب، أن تحوّلاً دراماتيكياً بهذا الحجم لم يكن يقع لولا وجود متغيرات داخل معادلة السلطة السعودية، فالملك لم يعد رمز قوة الدولة، ولا الصانع الأكبر للتوجّهات السياسية، وليس بالقدرة التي تؤهّله للإضطلاع بأدوار فريدة وذات طابع كاريزمي، ولا يجد المرء في ما يطلقه الإعلام السعودي المحلي والخارجي من نعوت مضلّلة سوى محاولة لستر الحقيقة. على الضد من العهود السابقة، فإن السعودية تدار من أقطاب كبار، يمثّل الملك أحدهم، وهو ما سمح لأمراء نافذين أو طامحين للعمل بصورة مستقلة، مثل وزير الخارجية سعود الفيصل، ورئيس مجلس الأمن الوطني بندر بن سلطان، ومدير الاستخبارات

العامة، والسفير السابق في واشنطن تركي الفيصل بمزاولة أدوار مركزية تتصل أحياناً بالمركز السيادي للملك، وبصناعة التوجّهات السياسية الخارجية للمملكة السعودية. وبإمكان المراقب لحركة السياسة الخارجية أن يلحظ نشاطاً غير اعتيادي قام بها الثلاثة في السنتين الأخيرتين سواء في موضوع الخلاف المفتوح بين معسكري الاعتدال والممانعة، أو في موضوع عملية السلام مع الكيان الإسرائيلي. فقد كان الأمير بندر بن سلطان وراء البيان السعودي الصادر في أول يوم للعدوان الإسرائيلي على لبنان في ١٢ تموز/ يوليو ٢٠٠٦، وما أعقبه من مواقف تصعيدية عكست نفسها على الإعلام السعودي الذي أعاد تحريك الملف الطائفي مجدداً، ثم ضلوع الأمير بندر في دعم جماعات قاعدية في العراق ولبنان وسورية، فيما كان الأمير سعود الفيصل يواصل حملة التحريض على قلب النظام في سورية والتي استمرت حتى نهاية عهد الرئيس الأميركي السابق بوش. أما الأمير تركي الفيصل، والذي تحرّر من تبعات المرحلة السابقة التي كان فيها الراعي الرسمي لتنظيم القاعدة، وصار مبشّراً بعملية السلام عبر بوابة التطبيع الثقافي، حيث أصبح عضواً دائماً في مؤتمرات أكاديمية أو ثقافية تشارك فيها أطراف إسرائيلية. بالمناسبة، كان الأمير تركي المسؤول عن اختيار حاخامات يهود للمشاركة في مؤتمر حوار الأديان الذي عقد في مدريد في شهر يوليو من العام الماضي.

كان التنسيق السعودي الأميركي في قضايا الشرق الأوسط قد بلغ أقصى درجاته، ووجد الأمراء أنفسهم بمنأى عن أي أخطار مباشرة، خصوصاً وأن المفعول السياسي للمال النفطي كان سريعاً، ليس في محيط معسكر الاعتدال، بل طال المحيط الدولي، إلى حد أن السعودية راهنت في فترة ما على إقناع روسيا بالتخلي عن دعم المشروع النووي الإيراني مقابل صفقات فلكية ستجريها السعودية معها. أما على المستوى الأوروبي، فكان للمال السعودي مهمة أخرى تتجاوز الحصول على موقف معنوي داعم من قضية خلافية على الصعيد الإقليمي، بل كان التنسيق مفتوحاً على إعداد خطط لحروب إقليمية، وتفجير إضطرابات في مربعات الخصوم. ولم يكن بطبيعة الحال العنصر الإسرائيلي غائباً في عمليات التنسيق تلك.

وبدت إدارة أوباما وكأنها تسير على خطى الإدارة الجمهورية السابقة في الانغماس في ما أسماه ديفيد جاردنر في كتابه (الفرصة الأخيرة) الصادر في مارس الماضي، بـ (الواقعية الضحله) في التعاطي مع قضايا المنطقة، ودعم أنظمة شمولية استبدادية في الشرق الأوسط الاستثنائي الذي هو منتج غربي بامتياز، بحسب جاردنر.

التعويل على أوباما في أن يجترح درباً جديداً للسياسة الخارجية الأميركية لم يكن يفشي حتى الآن سوى حزمة شكوك، إن لم يكن مخاوف من أن لا يكون أوباما سوى وارثاً لنهج يميني متطرّف ولكن في زي ديمقراطي. ماذا يحمل أوباما من رؤية لقضايا الشرق الأوسط يبقى سؤالاً جوهرياً على الدوام، بالنظر إلى اقترافات الإدارات الأميركية المتعاقبة في دعم الأنظمة الشمولية في الشرق الأوسط. لم يتحدث أوباما حتى اليوم عن مشروع دمقرطة، ولا يظهر من أداء إدارته أنه يعتزم إثارة الموضوع في المدى المنظور، وكأن سلفه تكفّل بحسم الملف لصالح الأنظمة الديكتاتورية.

ولذلك، فإن الاسئلة التي يثيرها جاردنر حول عطالة الشرق الأوسط، والحلول الممكنة التي يمكن للإدارة الجديدة أن تنتجها لتسوية النزاع، والطغيانية السياسية، والطائفية التي واصلت ترعرعها في العالم العربي فيما تلاشت هذه الظواهر في كل الأماكن الأخرى من العالم. ولذلك، يعتقد جاردنر بأن كون الشرق الأوسط استثناءً هو منتج غربي بامتياز، من خلال توفير الدعم للطغاة، وهو ما أكدّه أوباما خلال زيارته الأخيرة الى الرياض في الرابع من يونيو الجاري، حيث قدّم دعماً معنوياً للنظام السعودي الشمولي، كما غذّى هذا الغرب النزاع الفلسطيني الإسرائيلي في موازاة شيطنة الأحزاب الإسلامية المنتخبة بطريقة ديمقراطية، بل الأخطر في ذلك أن الموقف الغربي من الإصلاحات السياسية في المنطقة كان سلبياً للغاية. ولذلك، يرى جاردنر بأن القضايا

لم يتحدث أوباما عن مشروع دمقرطة، ولا يظهر من أداء إدارته أنه يعتزم إثارة الموضوع في المدى المنظور، بل بدا داعماً للإستبداد

التي واجهت إدارة أوباما تمثّلت في: دعم إسرائيل، استرضاء السعوديين، قمع الإسلاميين، وهي موضوعات لن تصمد طويلاً في القرن الحادي والعشرين. فالمشهد المستقبلي والموضوعي يتعارض مع الانتقال بذات الملفات الى مرحلة تتنابذ العداء مع مواقف أميركية وغربية تقليدية، فثمة قوى سياسية واجتماعية تفرض نفسها على المشهد الحالي والمستقبلي ولابد من التعاطي المسؤول معها.

سبق أوباما زيارته الى الرياض بتصريحات غير مشجّعة، حين قال بأنه سيحمل معه ملفين وهما: الملف النووي الإيراني وملف عملية السلام في الشرق الأوسط، وهذا بالنسبة لكثير من أبناء هذا البلد يعتبر إشارة سالبة، لأن التغيير الذي وعد به أوباما، والخطاب الديمقراطي الذي بشّر به عشية فوزه بالانتخابات الرئاسية تبدّد بصورة عاجلة، وكأنه يعيد إنتاج صورة سلفه بوش الإبن.

وفور وصوله إلى الرياض، قال أوباما بأنه جاء كيما يستمع إلى نصيحة الملك عبد الله قبل توجيه خطابه إلى المسلمين من مصر. وهذا يعني أيضاً أن الإدارة الجديدة لن تقدّم ما يفيد بأنها مختلفة في تشجيع الديمقراطية أو دعم الإصلاحات السياسية. وقد جاء في خطاب أوباما في مصر في ٥ يونيو وتصريحه قبل ذلك بأن الولايات المتحدة لن تفرض نموذجها الديمقراطي على الآخرين، في إشارة تطمينية إلى السعودية ومصر بأنه لن يمارس نفوذاً من أي نوع من أجل إرغام الدول الحليفة للولايات المتحدة على تطوير أنظمتها السياسية وتوسيع قاعدة المشاركة السياسية.

كلام أوباما عن (الثقة بأنه عبر العمل معاً، تستطيع الولايات المتحدة والسعودية تحقيق تقدّم في مجموعة كاملة من القضايا ذات الإهتمام المشترك)، يعني أن لا شيء قد تغيّر في واشنطن، وإن الإحتفالية التي سبقت قدوم أوباما إلى البيت الأبيض لا تبشّر بآمال جديدة، وستبقى الإدارة الأميركية حارساً على عروش الطغاة من حلفائها المعتدلين. ومهما اختلف المراقب مع زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن، فإنه يتفق معه فيما نسب إليه من كلام بأن (أوباما قد سار على خطى سلفه.. ومؤسساً لحروب طويلة الأمد). ولا غرابة، والحال هذه، أن يقول مسؤول سعودي (نحن على نفس الموجة معهم)، أي مع فريق أوباما.

ما يفعله أوباما الآن ليس سوى مواصلة مساعي سلفه في موضوع عملية السلام وتسوية الملف النووي الإيراني، وكأنه يسعى لتحقيق منجز في موضوع السلام إنطلاقاً من المبادرة السعودية التي أعلن عنها في بيروت عام ٢٠٠٢ وجرى تعديلها سنة ٢٠٠٧ في الرياض، بإسقاط حق العودة للاجئين الفلسطينيين وموضوع القدس. وتأمل السعودية بأن يواصل أوباما جهود سلفه لإقناع الاسرائيليين بالمبادرة، التي لم يعد يملك العرب فيها سوى سلاح التطبيع!

ما قيل عن توقعات العديد من السعوديين حول تحسّن العلاقات مع الولايات المتحدة في عهد أوباما أكثر مما كانت عليه في عهده سلفه تفترض أن تلك العلاقات كانت سيئة، بالرغم من أنها بلغت مستوى من التنسيق غير المسبوق، وخصوصاً بين فريق ديك تشيني والعائلة المالكة، ولا يمكن تخيّل مستوى يمكن أن تصل إليه العلاقة أفضل مما كانت عليه، ما لم تكن إدارة أوباما قد استعدّت لأن تقدّم أشكالاً جديدة من الدعم للنظام السعودي، في ملفات أخرى مثل الحرب ضد إيران، ورفع مستوى التنسيق مع الدولة العبرية، إضافة إلى ملف الطاقة.

لي ذراع أبو ظبي وخنقها برّياً

أزمة سعودية مع الإمارات

خالد شبكشي

يقولون: السعودية غاوية مشاكل، وهذه صفة لازمت السعوديين سياسياً وعقائدياً، فهم مسؤولون عن كل الكون، وهم مستعدون لأية معركة يدخلونها بإعلامهم وأموالهم وربما بسلاحهم أيضاً. لم يسلم من هذه السياسة لا المقربون ولا الأبعدون. شرط ان تكون هناك امكانية لكسر الخصم أو المنافس.

غريبة هذه (السعودية) فعلاقاتها شابها التوتر مع كل جيرانها بلا استثناء، الخليجية وغير الخليجية. وفي معظم الأحيان فإن الأسباب لها علاقة بالحدود وبالسياسات. والسعودية لا تتحمل تمنّعاً حتى من أقرب المقربين اليها من دول الخليج، وهي دخلت في صراع مفتوح مع قطر ذات مرة، ومع الكويت من قبل، ولازالت سلطنة عمان متوجسة من السعودية، في حين أن علاقاتها باليمن وبالعراق غير مستقرة.

ارث الخلاف بين الإمارات والسعودية ليس قليلاً.

تاريخياً (في منتصف الخمسينيات) كان هناك خلاف حدودي عميق حول واحة (البريمي) والتي لم تحل بشكل كامل حتى الآن.

وهناك خلاف سعودي إماراتي حول الحدود البحرية بعد أن احتلت الشريط الساحلي البري الموصل بين قطر والإمارات، وامتد الصراع الى الحيّز البحري بين البلدين ما عطّل مشاريع قطرية اماراتية مشتركة وبينها جسر بحري أريد منه تجاوز الشريط البري المحتل سعودياً. وهناك أيضاً خلاف مكتوم حول آبار نفطية على الحدود السعودية الإماراتية.

وبالطبع هناك خلاف ملموس في المواقف من قضايا سياسية، تشعر معها الإمارات ودول خليجية أخرى بأنها قد حشرت فيها بناء على ضغوط سعودية.

السعودية من جانبها كانت ولاتزال تشعر بالغيرة والحسد من الإمارات، كما تشعر بالإنزعاج مما يصلها مما يتداول من كلام عنها في مجالس شيوخ الإمارات، خاصة أميرها الذي كان على الأقل قبل وصوله الى رئاسة الإتحاد الإماراتي شديد الانزعاج من السعوديين وكان يتكلم علناً ضدّهم.

التطور الاقتصادي والعمراني الذي شهدته دبي أزعج السعوديين كثيراً، وبمقدار ما حققته دبي من منجزات كان هناك ألم سعودي، حيث المقارنة الدائمة بين البلدين من قبل المواطنين السعوديين وغيرهم تزيد في تمنّي (زوال النعمة) من الإمارات.

وقد شعرت السعودية بارتياح من تأثيرات الأزمة الإقتصادية الأخيرة على الإمارات خاصة دبي، وكشفت عن سرورها ذاك علناً، ومن خلال مقالات وتغطيات إخبارية في الصحافة السعودية، وصفت فيه التطور العمراني في الإمارات بأنه مجرد فقاعة.

وما أزعج الإماراتيين، خاصة شيوخ دبي، أنهم حاولوا استدانة ٣٤ مليار دولار، كانوا بحاجة اليها لضخّها في الإقتصاد بغية إنعاشه، فرفضت السعودية ونصحت آخرين بأن لا يقبلوا منحها ذلك الدين، في وقت كانت فيه أموال السعوديين من النفط تتواصل الى حدود التريليون دولار في المصارف الغربية وعلى شكل سندات الخزانة الأميركية حذرهم الأميركيون من المساس بها او سحبها، بل قيل أن بعض احتياطيات السعودية قد جرى التعدّي عليها ونهبها أميركياً.

الخلاف الجديد بين الإمارات والسعودية كان مجرد القشة التي قصمت ظهر البعير. محور الخلاف كان حول مقر البنك المركزي الخليجي الذي سيكون الحامي للعملة الموحدة بعد عامين. كان من المفترض أن يكون مقرّ البنك في الإمارات، ولكن السعودية تحايلت على المشروع ليكون في الرياض، وهذه الأخيرة تريد أن تجعل معظم إن لم يكن كل مؤسسات مجلس التعاون الخليجي في الرياض لا توزيعها بين الدول الأعضاء.

هذا الأمر أزعج الإماراتيين، وطفقت صحافتهم تشن حملات للدفاع عن أحقية بلادهم في استضافة مقر مجلس النقد الخليجي مع نقد مبطن لموقف السعودية. وقد شاركت كل صحف الدولة الإماراتية في طرح الموضوع نقداً وتحليلاً وهو أمرٌ غير مألوف في العلاقات الإماراتية السعودية. صحيفة القدس العربي (٢٠٠٩/٥/١٥) نسبت لمسؤول إماراتي استغرابه من اصرار السعودية على وجود مقرات معظم مؤسسات مجلس التعاون في الرياض. وأضاف بأن الاتحاد الأوروبي اختار بلجيكا الدولة الأصغر والتي تحتل مكاناً وسطاً لتكون مقر الإتحاد، وعمل على توزيع المؤسسات



التوقيع على اتفاقية الوحدة النقدية

الأخرى، مثل مقر البرلمان الاوروبي بين دول اصغر مثل لوكسمبورغ، بينما لا توجد اي مقار في دول عظمى مثل بريطانيا أو إيطاليا. أما الإمارات، فلا يوجد فيها مقر أي من العشرين مؤسسة تابعة لمجلس التعاون، ما جعلها تشعر بالغبن، خاصة وأنها أول دولة تقدمت بطلب الى مجلس التعاون لاستضافة المقر على أراضيها وذلك عام ٢٠٠٤، أما السعودية فتقدمت بطلبها عام ٢٠٠٨.

السعودية حاولت ترضية الإمارات بأن يكون محافظ البنك المركزي منها، وهي اعتبرت ذلك مسألة غير مهمة، لأن هناك اتفاقاً بين دول مجلس التعاون على أن يكون المحافظ بالتناوب بين الدول الأعضاء، مع أن القرارات

يجب ان تتخذ بالإجماع وهو ما لم يحدث بشأن مقر البنك وهو ما أزعج الإماراتيين الذين قرروا عدم المشاركة في العملة الموحدة شأنهم في ذلك شأن دولة عمان، التي اتخذت قراراً مبكراً بعد الإنضمام للعملة الموحدة، وقدمت حججاً ليس بينها خشيتها من الهيمنة السعودية!.

الموقف الحاسم من قبل دولة الإمارات ربما لم يفاجأ السعودية، أو لم تقرأه الأخيرة بشكل صحيح، وهي تعتقد بأن الإمارات ستعود الى السرب بعد تغريدها خارجه، وأنه ليس بإمكانها مواجهة الإرادة السعودية وما على ابو ظبي سوى القبول بإملاءات السعودية وتتنازل عن مطالبها.

ومع هذا، لا يخفى أن السعودية انزعجت من الموقف الإماراتي، وإن لم ترتب عليه موقفاً إعلامياً حاداً، واستمرت في عملها وكأن شيئاً لم يكن، أو كأنها غير مهتمة بذلك الموقف، وأقدمت على خطوة توقيع الوحدة النقدية في الرياض في ٢٠٠٩/٦/٧، في اجتماع حضره وزراء خارجية أربع دول خليجية، وفي ظل غياب الامارات وعمان. لكن هناك من يؤمل أن تتم ترضية الإمارات بصورة من الصور قبل اجتماع القمة الخليجية المقرر عقدها في الكويت في ديسمبر القادم.

غير أن الوقائع على الأرض، تثبت أن السعودية تريد لي ذراع الإمارات لإجبارها على الخضوع، في مسلك لا بدّ وأن يكون قد فاجأ الإماراتيين، ولربما يزيدهم تشدداً بعكس ما تتوقع السعودية، بل قد يوقع العلاقات بين البلدين في انتكاسة حقيقية قد تدوم لسنوات طويلة وتؤثر على جميع دول مجلس التعاون الخليجي، وعلى بنيان المجلس نفسه.

فمنذ أواخر شهر مايو الماضي عمدت السعودية الى خنق الإمارات من خلال التشديد على حدودها البرية، وإخضاع الشاحنات القادمة منها لاجراءات غير اعتيادية وغير مسبوقة، فسّرها المراقبون بداية لعقوبات سعودية انتقامية تجاه دولة ترفض الإذعان لها في شأن محدود، ما يفسر أن العقلية السعودية لا تتحمل الإختلاف البسيط حتى بين دول المجلس، ولا تقبل بأقلّ من خضوع جيرانها كاملاً لإملاءاتها السياسية ومواقفها، وهو ما فعلته من قبل مع قطر، قبل أن تخسر المعركة وتتنازل للأخيرة بشأن الحدود ومواضيع أخرى، الأمر الذي كفّ مهاجمة قناة الجزيرة للسعوديين.

الآن تقع الإمارات في ذات دائرة الإستهداف، وإذا كانت أوراق الضغط السعودي تجاه قطر صغيرة تصل الى حدّ الصفر، فإن الإمارات تختلف عن ذلك، وليس في يد السعودية سوى مسألة التبادل التجاري حيث تمر بضائع الإمارات (التي هي نقطة ترانزيت عالمية) الى دول خليجية أخرى كالكويت وقطر والبحرين وباقي البلدان العربية، ويقدر حجم التبادل التجاري بين الإمارات والسعودية نحو ٥٤،٤٨ مليار درهم (أي نحو ١٤،٨٤ مليار دولار).

ومع هذا قد تضحّي الإمارات بهذا التبادل التجاري ـ عبر المنفذ البرّي ـ وتتحمل العنت السعودي، إن أرادت الرد.

وكانت نحو عشرة آلاف شاحنة ـ حسب المصادر الإعلامية ـ تنتظر على الحدود السعودية الإماراتية منذ أواخر مايو الماضي، وأن الشاحنات شكلت خطاً قدّر بنحو ٢٤ كلم. وذكر بعض السائقين أن العبور يتم ببطء شديد يستغرق نحو ١٦ ساعة لمرور كيلومترين من صف الشاحنات، في ظل درجة حرارة عالية تصل الى ما يقرب الخمسين درجة مئوية، وفي غياب كل الخدمات مثل المطاعم والمياه ودورات المياه، فضلاً عن أن السعودية ومنذ تطور الوضع سلبياً بعد انسحاب الإمارات من المشاركة في العملة الخليجية الموحدة، أخذت بصمات السائقين.

السعودية من جانبها بررت إجراءاتها بأن التشدد جاء على خلفية تهريب مخدرات وخمور عبر الشاحنات الى السعودية، حسبما أعلن عن ذلك محمد خليفة المهيري المدير العام للجمارك الإماراتية، لكنه أضاف بأن الجانب السعودي لم يقدم أدلة على تلك المزاعم. ونقل عن مسؤول في السفارة السعودية في الإمارات أن سبب الإزدحام يعود الى عدم حيازة السائقين في بعض الحالات على المستندات اللازمة أو لعدم توافق وضع الشاحنات مع المعايير المحددة سعودياً. لكن هذه التبريرات لم تقنع المسؤولين الإماراتيين ولا المراقبين لوضع العلاقات بين البلدين.

بعد ستة أسابيع.. هل يعود سلطان حيّاً؟

نقلت صحيفة السياسة الكويتية عن الملك عبدالله في ٢٠٠٩/٥/٢٦ الماضي قوله بأن (صحة ولي العهد بخير... سلطان شفاه المولى جل في علاه مما ذهب للعلاج من أجله... ونترقب هنا في السعودية عودته بإذن الله خلال الأسابيع الستة المقبلة). وكان عدد من الأمراء من إخوة وأشقاء ولي العهد قد أكدوا مراراً على أنه شفي (تماماً!) وأنه سيعود قريباً. وقد أثارت الـ (ستة أسابيع) شكوكاً كبيرة في احتمال عودة سلطان سالماً، فهو ومنذ أن وصل في ابريل الماضي الى المغرب لقضاء فترة نقاهة بعد تلقيه العلاج، لم يظهر سوى مرتين للتصوير أمام الكاميرات، وقد بدا في حالة صعبة، وفقد الكثير من وزنه، فيما أفادت أنباء من مقربين منه بأن إيقاف العلاج سمح بعودة شعره الذي تساقط، ما يعني أن لا أمل في شفائه. كما أكد مقربون منه بأنه يعاني أيضاً من هشاشة في العظام.

ويبلغ سلطان نحو ٨٥ عاماً، وقد أمضى معظم الشهور الإثني عشر الماضية في الخارج بين جنيف وأغادير بالمغرب ونيويورك متردداً بين العلاج والنقاهة، ومتحللاً من أية مسؤوليات في الدولة، ما فتح النقاش مجدداً حول ولاية العهد.

ولكن في خطوة مفاجئة تمت في مارس الماضي، بدا وكأن اتفاقاً قد أبرم بين التيار السديري والملك، عيّن بموجبه نايف وزير الداخلية نائباً ثانياً لرئيس مجلس الوزراء، وهو المنصب الذي جمّد منذ وفاة الملك فهد ٢٠٠٥، وقد توقع المراقبون أن تقوم هيئة البيعة بتعيين ولي العهد الجديد في حالة وفاته، ولكن تعيين نايف ألغى من الناحية الفعلية الدور المفترض لتلك الهيئة.

ويعتبر الأمير نايف الرجل القوي في السعودية، بل هو الأقوى بين كل رجال الحكم، نظير الصلاحيات التي بيده، وهو بهذا



نايف يزور سلطان في اغادير

يفوق في تأثيره تأثير الملك نفسه. وفي غياب سلطان وشقيقه سلمان (مرافقاً) وقعت معظم الصلاحيات في يد وزير الداخلية الذي يعد بحق ملكاً غير متوج في السعودية. والأمير نايف شخصية ضد الإصلاح، ويتوقع أن يؤدي وصوله الى كرسي الملك الى المزيد من التشدد في السياسة الداخلية وفي انتهاكات حقوق الإنسان.

بقي أن نشير الى أن الملك عبدالله يعاني هو الآخر ـ خاصة في الآونة الأخيرة ـ من متاعب صحية في القلب، وكانت قد تعرّض لأكثر من نوبة قلبية، بسبب ما قيل عن إفراطه في التدخين وشرب الكحول.

مملكة بلا مستقبل: سكان السعودية ١٨ مليوناً

محمد شمس

قدرت مصلحة الإحصاءات العامة السعودية عدد سكان البلاد بنحو ١٨,٤ مليون نسمة نصفهم تقريباً من النساء، إضافة الى نحو سبعة ملايين وافد أجنبي بينهم نحو مليوني إمرأة معظمهن يعملن خادمات في المنازل. ويقدر عدد الفئة الشبابية بنحو ٦٧٪ من السكان ما يجعل مستقبلها غامضاً في ظل الظروف الإقتصادية والسياسية والإدارية السيئة التي تعيشها المملكة، وفي ظل الفساد الضارب أطنابه في كل مؤسسات الدولة والنهب المستشري لمواردها على يد الأمراء وحفنة من المنتفعين معهم.

وإذا كانت الأحوال الآن صعبة للغاية، فإنه لا يوجد في الأفق ما يبشر بالخير بشأن الخدمات العامة للدولة في الصحة والتوظيف والتعليم والمياه والكهرباء وغيرها، حيث الضغط متواصل على الخدمات والشكاوى تتصاعد بشأن الفقر والفاقة.

ولكي لا يكون الكلام في العموميات، نلقي في هذه المقالة نظرة سريعة على موضوعات وإحصاءات تطرقت اليها الصحافة المحلية خلال شهر مضى، لتبيان أن إيرادات الدولة لم تنعكس على وضع المواطنين، وأن الدولة بوضعها الرث الحالي عاجزة عن الإيفاء بأوليات الخدمات والحاجات الأساسية للمواطنين.

لو أتينا الى موضوع الإسكان، فالتقديرات التي قدمها بنك HSBC ونشرها في (٢٠٠٩/٦/٧) تفيد بأن السعودية تحتاج لبناء مليون منزل جديد بحلول عام ٢٠١٤، وتوقع تراجعاً بنسبة ١٥٪ في أسعار بيع وتأجير العقارات في العاصمة الرياض نتيجة الأزمة المالية، وأضاف بأن سرعة تزايد عدد السكان تعني عجزاً في العقارات السكنية والتجارية والفندقية في كل المدن الكبرى من المملكة الأمر الذي سيؤدي الى ارتفاع العقارات.

ايضاً فإن الإحصاءات تقول بأن ٨٠٪ من المواطنين لم يستفيدوا من الصندوق العقاري، وهو صندوق تم تأسيسه لإقراض المواطنين ومساعدتهم على بناء مساكن لهم، وفي الوقت الذي ينتظر فيه مواطنون خليجيون بضعة أشهر حتى يحصلوا على قرض، فإن المواطن السعودي عليه أن ينتظر وقتاً يصل الى عشرين سنة، مع أن القرض أصغر حجماً من نظيره الخليجي ولا يغطي تكاليف البناء فضلاً عن تكاليف الأرض.

وكشف الأكاديمي وأستاذ التخطيط الحضري والإقليمي الدكتور أمير العلوان في دراسة حديثة أن أكثر من ٦١٪ من موظفي الدولة لا يملكون منزلاً خاصا بهم، ويقطن قرابة ٦٦٪ منهم في شقق أو أدوار صغيرة أو مع والديهم، حيث أجمع ٩١٪ منهم على أن الجهات الحكومية لم تستفد من التجارب المحلية الناجحة في توفير الأرض أو المسكن.

وفي موضوع السكن أيضاً كشفت الدكتور زهرة المعبي مديرة العلاقات العامة بجمعية المتقاعدين بأن ٤٠٪ منهم يسكنون بالايجار وأغلبهم يسكن الشقق، رغم مرور سنوات طويلة في وظائفهم سواء بالقطاع العام او الخاص بسبب تدني الرواتب والتي لا تتجاوز في اقصاها ٦ آلاف ريال (المدينة ٢٠٠٩/٥/٢٨). هذا حال المتقاعدين، فكيف سيكون حال الأجيال الشابة، وكيف ستستطيع توفير مبالغ لبناء مساكن لها؟!

في موضوع الفقر، هناك أربعة ملايين مواطن يعيشون على الضمان الإجتماعي، وقد تم مناقشة موضوع الفقر في ندوة بداية الشهر الحالي (انظر: فقر، نورة الأحمري، اليوم، ٢٠٠٩/٦/٤). هذا مع العلم ان الحكومة وقبل سبع سنوات رصدت ٢٠٠ مليون ريال فقط!!! لإعداد دراسة تكافح على أساسها الفقر! وحتى الآن لم ينشر رقم رسمي حول عدد الفقراء، ولا توزيعهم الجغرافي، ولا تصنيف الفقر حسب الدرجات. نعم قال رئيس لجنة مكافحة الفقر، بأن السعودية تحتاج الى ٢٠ سنة للتغلب على الفقر، وأن ٣٠٪ من السكان يعيشون تحت حد الفقر، وأن الدولة ستستفيد من التجارب الدولية في هذا المجال، بما فيها التجربة البنغلاديشية!

وحسب الإحصاءات، هناك ٣٦ ألف أسرة تقع في خانة (الفقر المدقع) وتحتاج الى مساعدة عاجلة، وأنه من خلاف معرفة عدد المستفيدين من الضمان الاجتماعي وعددهم ٧٠٠ الف أسرة، يتوقع أن مجموع



تنمية الجيوب الملكية!

عدد الأسر المحتاجة تزيد على أكثر من مليون أسرة، تصنّف في خانة (تحت حزام الفقر). أليس معيباً أن أكثر من ربع السكان فقراء؟!

بالنسبة للصحة، فإن معدل أعمار السعوديين يكشف عن حجم المعاناة، حيث يصل المعدل الى ٦٧ عاماً. وتعتبر الخدمات الصحية في السعودية سيئة للغاية، وقد ظهرت أمراض لم توجد في مكان في العالم غير السعودية، مثل التدويد ومثل حمى الوادي المتصدع فضلاً عن الأمراض المعروفة كالملاريا وما شابهها. وحسب صحيفة الوطن السعودية (٢٠٠٩/٥/٢٧) فإن هناك ٤٧ مرضاً يهدد صحة ثلاثة ملايين مواطن.

زد على ذلك فإن الأمراض المستعصية تتكاثر خاصة ما يتعلق منها بالسرطان،

فقد زادت الإصابة به بنسبة ٤١٣٪ في المنطقة الشرقية بسبب وجود مواد مشعة خلفتها الحرب على العراق عام ١٩٩١ وعام ٢٠٠٣، اضافة الى أسباب أخرى تتعلق بالتلوث الناجم عن صناعة النفط وتكريره. وحسب صحيفة اليوم (٢٠٠٩/٦/٣م) فإن هناك ٦٠٠ موقع بالسعودية في شمالها وشرقها توجد بها ملوثات اشعاعية.

وفيما يتعلق بالمياه، فإن الصحافة السعودية دائمة الكتابة عنها، فمن مياه جدة الملوثة واختلاطها بمياه المجاري، الى بحيرة المسك!، الى شحة المياه في الصيف وكيف أن المواطنين يعتمدون - في مدن رئيسية كمكة وجدة - ليس على تمديدات للمياه بل على (التناكر)! للتزود بماء الشرب. وتشكو مناطق أخرى من انقطاع مستمر في المياه، وفي مناطق أخرى لا يوجد إلا مياه مالحة غير صالحة للشرب، بل أن شدة ملوحتها تدمر التمديدات والحنفيات. وفي صحيفة الوطن (٢٠٠٩/٥/٢٣) حديث عن أن المنطقة الشرقية انتظرت منذ ٢٦ عاماً مياهاً عذبة للشرب، في حين أن المياه تنطلق منها من مدينة الجبيل وتمر بالرياض وتروي القصيم، فيما السكان أنفسهم القريبين من مصافي تحلية المياه يشربون المياه المالحة.

وحول المخزون الاستراتيجي للمياه، قالت صحيفة الجزيرة السعودية (٢٠٠٩/٥/٢٧) على لسان وزير المياه والكهرباء أن السعودية تصدر المياه لدول ذات أنهار، وأن ٤٦٠ مليار متر مكعب من المياه سحبت وأهدرت خلال الثلاثين عاماً الماضية.

وفي مملكة السعادة والرفاه، نقرأ خبرين، الأول يتعلق بالقضاء (الفاسد أصلاً) وكيف أن هناك نقص كبير فيه، والثاني قد يشير الى كيفية نهب أموال الدولة حتى أبقت العائلة المالكة وحاشيتها المواطنين على (الحديدة)!

يقول الخبر الأول (المدينة، ٢٠٠٩/٦/٢) وتحت عنوان: (كاتب عدل واحد لكل ٥٨ ألف نسمة) أن تقريراً إحصائياً حديثاً صادراً عن وزارة العدل كشف عن نقص كبير في عدد القضاة وكتاب العدل في المناطق، الى جانب وجود تباين كبير في توزيع القضاة وكتاب العدل بين المناطق والمحافظات.

وبحسب الاحصائية للعام قبل الماضي فان هناك كاتب عدل واحد لكل ٥٨ الف نسمة في المملكة وهو ما أدى الى وجود ضغط كبير في العمل، حيث ينجز كاتب العدل الواحد ٤ آلاف صك سنويا بمعدل ٤٠٨ شهرياً. وبالنسبة للقضاة فقد ذكر التقرير وجود ٣ قضاة لكل ١٠٠ الف نسمة وان كان المعدل يختلف من منطقة لاخرى. وجاءت الباحة في المقدمة بـ ٥,٤٢ قاضي فيما سجلت الشرقية المعدل الاقل بين المناطق بـ ٢,٢٠ قاض لكل ١٠٠ الف نسمة.

ويقول الخبر الثاني أن جامعة الإمام محمد بن سعود، وهي جامعة اسلامية تخرج دعاة الوهابية، خصص لمجرد (تطوير) موقعها على الإنترنت ٢٠٠ مليون ريالاً فقط! (أي ٥٣,٣٣ مليون دولاراً فقط). الخبر نشرته صحيفة عكاظ في عددها الصادر في ٢٠٠٩/٦/٤م، وقد أثار استغراب المراقبين لضخامة المبلغ المقدر لتحديث موقع الجامعة، بصرف النظر عن الوظائف المقررة له، وبالمقارنة مع ميزانيات مماثلة مرصودة لمواقع جامعات ذات شهرة عالمية وتقدّم خدمات متميّزة للطلاب في مجالات علمية متعددة عن طريق التعليم عن بعد، ما يكشف عن نهب على المكشوف كما يقال.

تجدر الإشارة إلى أن مبالغ ضخمة رصدت في السنوات الثلاث الماضية لزيادة نشاطات جامعة الإمام، بما فيها عقد مؤتمرات عالمية، وتحديث المناهج، وتوسعة هياكلها الإدارية، بما يمنحها قدرة تنافسية مع جامعات أخرى في المملكة. يأتي ذلك في وقت تواجه فيه الحكومة السعودية انتقادات واسعة بسبب دور الجامعات الدينية في تشجيع التطرف والكراهية الدينية، وفي ظل مطالبات متزايدة بتخفيف الجرعة الدينية في المناهج التعليمية أخذاً بنظر الإعتبار متطلبات التنمية وحاجات السوق ومعالجة البطالة.

هذا بعض ما نشر في صحافة السعودية لهذا الشهر، وهو كاف ليبيّن أيّ نعيم يعيش فيه السعوديون.

لن نتحدث عن ملايين العاطلين عن العمل، الذين عجز الوزير القصيبي في توظيفهم!

ولن نتحدث عن التعليم (مدارس ومناهج وجامعات) فهذا فوق طاقة المقالة هذه.

ولن نتحدث عن الموضوعات الأخرى كالطرق والجرائم بشتى أنواعها، ولا عن المواصلات ولا غيرها.

الدولة السعودية اليوم تمتلك كل الإمكانيات لتحسّن الأوضاع، ولكنها لسبب أساس لا تستطيع فعل ذلك.

لقد نخر الفساد النظام حتى العظم، وترهّلت الإدارة الى أبعد الحدود، حتى أن معدل عمل الموظف السعودي لا يتجاوز الساعة الواحدة يومياً!

ليس من يمتلك الإمكانات قادر على الإستفادة منها، وتوظيفها التوظيف الصحيح.

إذا كان لدينا ملوكاً وأمراء ينامون قبل الفجر، ولا يستيقظون إلا بعد منتصف النهار، ولا يبالون كيف سارت الدولة يميناً أو يساراً. وفي ظل غياب الرقابة الشعبية، والأجهزة الناضجة، والروح الوطنية الصادقة، فإنه لا يتوقع من هكذا دولة تنهض من كبواتها.

والغريب في الأمر أن عنجية الأمراء وحاشيتهم النجدية، ممتلئة غروراً تجاه الآخر، سواء كان عربياً في الإمارات أو قطر أو عمان، أو غيره. بل يرون أنفسهم أعلم وأفقه وأكثر تطوراً وتحضراً من الآخرين.

والأكثر غرابة في هكذا دولة بائسة، أنها تريد منافسة إيران! وأن إعلامها ما فتيء يردد عيوب الأخيرة ومشاكلها. ليت دولة السعوديين تحقق معشار ما أنجزه الإيرانيون علمياً وصناعياً وعسكرياً.

دولة السعوديين في انحدار متسارع وفي كل أجهزتها (عدا الأمنية ربما) فيما بقية دول الجوار (عدا اليمن) تميل مؤشراتها الى الأعلى بتسارع، خاصة في ايران، العدو والمنافس اللدود لآل سعود.

نعم السعودية ناجحة في الشتم الإعلامي. قال إعلامي سعودي بارز: إن كان هناك من شيء ناجح في هذه الدولة (ويقصد السعودية) فهو الإعلام الخارجي!.

والإعلام الخارجي هو: الشرق الأوسط والعربية.

وحتى هذا الإعلام أخذ يأفل خاصة خضراء الدمن الرخيصة!

الإستعلاء والتكفير وتمويل العنف كان سبباً

المزيد من التوتر في العلاقات السعودية العراقية

فؤاد المشاط

كما يتوضح من مقالات هذا العدد، فإن السعودية دخلت في معارك متعددة أكبر من حجمها ومن إمكانياتها. هي في عداء حاد مع ايران لم يظهر منه إلا القليل في الإعلام، وهي في صراع جديد مع الإمارات، ومع السودان، ومع العراق، ومع نصف اللبنانيين على الأقل، ومع ليبيا، ومع سوريا (تخفيف اللغة وحمل هراوة كبيرة) ومع دول أخرى بصورة أدنى. وعلى المستوى الديني والإجتماعي، فإن للسعودية كأيديولوجيا وكسياسة وكإعلام صراع مع أكثرية علماء السنّة الأشعريين، ومع الصوفية بمختلف تنوعاتهم، ومع الشيعة علماء وأفراد، فالوهابية تكفر كل هـؤلاء. فضلاً عن وجود مشاكل سعودية داخلية مع تيارها الوهابي العنفي، ومع التيار التقليدي الوهابي المتخلف، ومع التيار الوهابي الصحوي الإنتهازي، ومع الجنوب الإسماعيلي، ومع الحجاز الصوفي والسنّي المعتدل، ومع الشرق الشيعي. زد على ذلك، هناك مشاكل سعودية تتعلق ببنية النظام، العجوز الهرم غير القادر على إصلاح نفسه، والمتمنع على الإصلاح، وهناك الفساد الذي يكاد يقضي على الدولة ويلتهمها، وهناك الخلافات داخل العائلة المالكة ومشكلة القيادة، وهناك أفـواه ملايين تبحث عن لقمة العيش، وملايين تبحث عن بيت يؤويها، وملايين تبحث عن وظيفة، وملايين تبحث عن خدمات الدولة الصحية والتعليمية وغيرها فلا تجدها.

باختصار السعودية في عداء مع نفسها ومع جيرانها، وقد فتحت من الجبهات ما لا طاقة لها بمواجهته. ومن هنا كان من الحمق الإعتقاد بأن السعودية ستنجح في كل هذه المعارك، أو أن يكون رهانها السياسي صحيحاً حين يقوم على أساس أن يتولّى آخرون (اسرائيل/ اوروبا الموحدة/ أميركا) المعارك بالنيابة عنها وإعادتها الى قمتها السامقة السابقة، زعيمة للعرب أو للمسلمين. هذا عصر فات أوانه، وحقبة انتهت وتآكلت حتى العظم.

العراق الذي صمت طويلاً على تعديات السعودية وتمويلها للعنف المحلي، نطقت أخيراً بعد أن استشعرت شيئاً من القوّة. قال المالكي ـ رئيس الوزراء العراقي ـ في أواخر مايو الماضي بأن (العراق نجح في الانفتاح على أكثر الدول، ولكن لدى السعودية مواقف سلبية). وأضاف: (بادرنا لإيجاد علاقة طبيعية وايجابية مع السعودية، لكن المبادرة فهمت سلباً وضعفاً). وأكد (الاستعداد لتقبل مبادرة سعودية، لان المبادرات من الجانب العراقي استهلكت، ولا جدوى من تكرارها، ما لم يصدر عن السعودية أي رغبة واضحة بتحسين هذه العلاقات).

ما كان يريد المالكي قوله، بأن السعودية تتعامل بتعالٍ مع العراقيين، وهذا دأبهم في الحقيقة مع الآخر، إلا أن يكون من أصحاب العيون الزرق! مجموعة قضايا محور الخلاف بين البلدين: عدم فتح السعودية لسفارتها في بغداد نكاية بالنظام الجديد وعدم اعتراف به لأسباب طائفية، تمويل العنف وعدم الإستقرار عبر أموالها ومقاتليها، فشل الإتفاقية الأمنية بين البلدين التي روج لها موفق الربيعي، تكفير الشيعة وعلمائهم خاصة وأن هناك علماء في السلطة السياسية.

وقد ردت السعودية، وردت صحافتها على تصريحات المالكي. قال طارق الحميد (الشرق الأوسط ٣٠/٥/٢٠٠٩) الذي كان عنوان مقالته: (عندما قفز المالكي من النافذة) بأن تصريحات المالكي مستفزّة، وأنها تهديدية، واعترف بأن (علاقة الرياض ببغداد ليست إيجابية) وأن هناك (تجاهل سعودي لشخص نوري المالكي). واعتبر الحميد المالكي جاهلاً بالسياسة وأنه لا يفهم المنطقة من حوله، وسخر بأن جيران العراق (لن يرضخوا لصدام صغير، وجديد).

هذه الروح السعودية الإستعلائية ليست مستغربة، وهي التي أوردت السعوديين في مشاكل حادّة مع الآخرين، حتى الخليجيين منهم. ويبدو أن الحكومة العراقية لا تستشعر أهمية كبيرة من فتح السفارة السعودية في بغداد، بعد أن فتح العالم كله بما فيها دول الخليج سفاراته، كما أن تحسن الوضع الأمني أطلق ألسنة النقد السنيّة والشيعية والكردية للحكومة السعودية بشكل خاص. وجاءت تصريحات الكلباني، إمام الحرم المكي، التي كفّر فيها علماء الشيعة، لتزيد الطين بلّة، فيما وصف شيخ وهابي آخر (عبدالعزيز العبداللطيف) الشيعة بأنهم انفلونزا خنازير، ما يعني وجوب القضاء عليهم، الأمر الذي دفع بالضغط الشعبي على الحكومة الى حدوده القصوى، حيث النقد المتواصل للمالكي الذي (يتملّق السعوديين).

حتى مجلس النواب العراقي ناقش تلك التصريحات وأصدر بياناً ندد فيه بتصريح الكلباني وطالب الحكومة السعودية بأن تأخذ على يده وأن تحرص على وحدة المسلمين، وأن تعتذر عن تلك التصريحات المسيئة، ودعا البرلمان الحكومة العراقية الى إقامة دعوى قضائية ضد الكلباني واتخاذ جميع الاجراءات القانونية الكفيلة برد الاعتبار للعراقيين.

وحسب القدس العربي، فإن مراجع شيعة استفزوا كثيراً بتكفيرهم من قبل الكلباني، وأصدروا بيانات منددة، وحتى مرشد الجمهورية الإيرانية وجد نفسه مضطراً للتنديد بالوهابيين في تصريح علني نادر (١٣/٥/٢٠٠٩) قال فيه بأنهم ينفذون مخطط التفرقة بين المسلمين بعلم أو بغير علم من خلال تكفيرهم أتباع المذاهب الإسلامية سواء من السنّة او الشيعة. ووصف الوهابيين الذين يثيرون الفرقة بين المسلمين بالمرتزقة للأعداء، وأن من يثير الفرقة (ليسوا من الشيعة ولا من السنّة، وإنما هم أعداء للإسلام). ولم ترد السعودية ولا مؤسستها الدينية على نقد خامنئي، فذلك يفتح معركة لم تكن السعودية مستعدّة لها، خاصة وانها شعرت بالإحراج من مثل تلك التصريحات التي أطلقها شيوخها، والتي وترت علاقاتها مع العديد من الدول سابقاً ولاحقاً، مثل ليبيا والسودان فضلا عن ايران والعراق ولبنان.

الإصلاح السعودي في تقدّم!

تأجيل الإنتخابات البلدية تمهيداً لإلغائها

ناصر عنقاوي

كما كان متوقعاً، فقد أعلنت الحكومة السعودية في ٢٠٠٩/٥/١٨ تأجيل الانتخابات البلدية المقرر إجراؤها نهاية العام، وذلك لمدة عامين بحجة دراسة التجربة واستخلاص العبر منها، فيما طفق موالون يمتدحون القرار الرسمي منددين مسبقاً بالتجربة، في حين نشرت عدة مقالات محلية قبل وبعد التأجيل تحذر من مغبّة وتنتقد التأجيل، بأية حجة كانت.

الإنتخابات البلدية جرت لأول مرة قبل نحو أربع سنوات، وكانت المشاركة فيها ضعيفة، حرمت فيها المرأة من الترشح والإنتخاب، وكانت التجربة قد بدأت بسبب الضغوط المحلية والخارجية المتواصلة على الحكومة السعودية في سبيل تحقيق انفراج سياسي داخلي، خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م.

يومها رضخت العائلة المالكة وأجرت الإنتخابات. ورغم محدودية التجربة، كونها انتخابات غير كاملة، بمعنى أن الحكومة تعيّن نصف أعضاء المجلس البلدي، وتمنع مشاركة المرأة، فإنها قامت أيضاً بتفريغ المجالس البلدية من مقومات وجودها، بتقليص الصلاحيات ومضايقة الأعضاء أكثر وأكثر، ما أدّى الى استقالة البعض وتراجعهم.

ما يفسر القرار الأخير، هو أن الضغط الدولي زال، وأن جناح التشدد في العائلة المالكة قد تغلّب على ما يزعم من تيار للإصلاح، وبسيطرة نايف على القرار، فإنه أراد إلغاء النتوء الشاذ (الإنتخابات البلدية) ليكون وجه المملكة متناسقاً بلا رتوش ولا تلميع ولا ماكياج! وهو ما حدث.

قرار التأجيل لم يلق اعتراضاً خارجياً كما هو متوقع خاصة من الحليف الأميركي والغربي، الذي طبّل للإصلاحات في السعودية، وكانت كل استشهاداته تعتمد على تلك الانتخابات البائسة. في السعودية تسمع كلاماً كثيراً وترديداً متكرراً لمفردة (الإصلاح) ولكن على أرض الواقع لا تجد شاهداً يمكن الإتكاء عليه يثبت أن هناك في الأساس عملية إصلاحية سياسية كانت أو إدارية بيروقراطية أو اقتصادية او دينية. كل ما يحدث وما يكتب عنه وينشر يشير الى المزيد من التراجع والتشدد.

وحتى على الصعيد الداخلي، مضى القرار وكأنه مسألة اعتيادية، فالإنتخابات البلدية بصلاحيات محدودة وبتعيين نصف الأعضاء، كشف عن هزال الإصلاح، وعن هزال نتائجه، وبالتالي لم يتحسّر الكثيرون على غياب الإنتخابات البلدية، وليس المناطقية او البرلمانية اللتان لن تأتيا.

من الخطر أن يحارب الإصلاح باسم وبأدوات إصلاحية، فخير للشعب أن تكون الصورة واضحة أمامه، بدل أن تكون هناك انتخابات مفرغة من محتواها، وهيئات حقوقية حكومية تحارب حقوق الإنسان ولكن باسمها. خير لنا أن نواجه الواقع بلا تزييف وبلا رتوش.

وشكراً للمتشددين من العائلة المالكة، فقد أزاحوا كامل الأقنعة عن وجوههم.

إن ما جرى يثبت مرة أخرى بأن الإصلاح لم يكن في يوم ما خياراً لدى هذا النظام، بما يتطلبه من تغييرات بنيوية في الدولة، وإن توقيت القرار، في وقت تشهد فيه دول خليجية وعربية تجارب إنتخابية لافتة، يكشف عن أن النظام السعودي غارق في غيّه السياسي، كما يفصح عن استخفافه بتطلعات الناس ومطالبهم.

ومما لا شك فيه فأن الداعين الى إصلاح تدريجي اكتشفوا الآن أن العشرين عاماً التي وعد بها الملك عبدالله كمدة تستغرقها عملية الإصلاح السياسي وغيره!، لن تكون كافية للعائلة المالكة ولو بقيت في الحكم قرناً كاملاً آخر. فهذا النظام لا يقبل بالإصلاح لا متدرجاً ولا راديكالياً. هذه العائلة المالكة عدوة للإصلاح، شأنها شأن كل المستبدين وكل الأنظمة التسلطية في العالم.

سنّة المستبدين لم تتبدل يوماً، وإن المراهنة على العائلة المالكة بأنها ستقوم بإصلاح نفسها مسألة لا يمكن أن يؤمن بها إلا المخدوعون والجهلة. ليس هناك من حل إلا بالضغط الشعبي، والإصلاح لا يأتي إلا بدفع أثمانه، وإلا متى قدم مستبد على تقييد سلطته تطوّعاً؟!

إن الإنسدادات الحادة في الحياة السياسية في السعودية ترجح خيارات راديكالية تطالب بإسقاط العائلة المالكة، كما ترجح خيارات العنف ضدّها، فضلا عن ترجيح خيارات الإنفصال في مناطق عديدة عن الكيان النجدي المسعود والمتوهّب والمعتدي، ولا يمكن أن يتحمل مسؤولية ما سيجري مستقبلاً إلا العائلة المالكة وحلفاؤها النجديون ومؤسستها الدينية المتخلّفة.


انتخابات ٢٠٠٥م البلدية لن تتكرر رغم محدوديتها!

حادثة الجبيل، وتصاعد العنف

لازال العنف المحلي يتصاعد إما على خلفية مواقف سياسية او لأسباب اقتصادية واجتماعية ضاغطة. وتشهد الصحافة السعودية سيلاً من الأخبار الجنائية المقلقة، كما تشير الى وجود مشاكل كالجبال تؤجج الوضع المحلي واستتباب الأمن. وعلى الصعيد السياسي فإن الآفاق المغلقة والقمع ووجود نحو ١٥ ألف سجين سياسي (معظمهم من التيار الديني السلفي) تحفز باتجاه العنف، الذي بدا وكأنه قد تمت السيطرة عليه، فيما ينتظر الأمراء صيفاً ساخناً قد يأتي هذه المرة من قاعدة اليمن.

في هذا الصدد، تعرضت أواخر مايو الماضي حافلة صغير تقل ثلاثة بريطانيين يعملون في مدينة الجبيل الصناعية الى اطلاق نار، ويرجح أن الحادثة جاءت على خلفية سياسية، تذكر بقتل الأجانب قبل بضع سنوات في عدد من المدن السعودية خاصة عاصمتها. الحكومة من جانبها وعلى لسان المتحدث باسم الداخلية اللواء منصور التركي، اعترف بأن سائق سيارة أخرى في الخلف أطلق النار على الحافلة الصغيرة، وقد أدى ذلك الى تهشيم الزجاج الخلفي دون أن يتسبب ذلك في قوع أي أذى للركاب، واضاف بأن الحكومة تحقق في الحادث لمعرفة دوافعه!

المال السعودي الناخب الأكبر

لبنان بعد فوز الموالاة

سعد الشريف

رغم ما قيل عن الانتخابات اللبنانية الأخيرة في ٧ يونيو وبصرف النظر عن هوية الفائز والخاسر، فإن ما يدعو للتأمل هو طبيعة الدور السعودي في مجريات الإنتخابات، منذ بدء تحضيراتها قبل نحو عام، وحتى موعد إجرائها. ليس هناك من يدّع بأن لا مداخلات حصلت في الانتخابات اللبنانية، وهذا وحده كافٍ لوقفة تأمل، لأننا، وبخلاف النعوتات الصادرة من مؤسسات دولية شاركت في مراقبة سير الانتخابات اللبنانية، أمام حقائق بالصوت والصورة (حوالات بنكية من السعودية). ونستدعي هنا ما ذكرته صحيفة (نيويورك تايمز) في ٢٤ إبريل الماضي، في تقرير لها من بيروت عن الانتخابات اللبنانية بأن مئات ملايين الدولارات تتدفق إلى لبنان من الخارج لشراء أصوات الناخبين، واصفة هذا الاستحقاق الانتخابي بأنه سيكون من بين الأعلى تكلفة في العالم. وقالت الصحيفة إن (لبنان يعتبر منذ فترة طويلة ساحة للنفوذ الإقليمي، واليوم وبغياب الجيوش الأجنبية عن أرضه، فإن السعودية وبلداناً أخرى تدعم حلفاءها بالمال بدلاً من السلاح). ونتيجة ذلك فإن (السباق سيكون الأكثر حرية والأكثر تنافساً خلال عقود، لكنه بالتأكيد سيكون السباق الأكثر فساداً). ونقلت الصحيفة عن مستشار للحكومة السعودية (إننا نضع الكثير (من المال) في هذا السباق)، وأن بعض الناخبين، وبخاصة في المناطق التي تشهد تنافساً كبيراً، يتلقون اتصالات تعرض المال مقابل الصوت.

وإذا كان المال الانتخابي في لبنان إرتبط بالسعودية بجدارة، فإن تجارب انتخابية في الولايات المتحدة وبريطانيا وإيطاليا، من بين دول أخرى ديمقراطية في العالم، تحدّثت منذ التسعينات من القرن الماضي عن المال السعودي في دعم أحزاب محدّدة.

ما يذهل المراقبين في دولة ديكتاتورية مثل السعودية، التي تفتقر إلى مقوّمات الحياة الديمقراطية، أنها تحاول (تصدير) نموذجها الديكتاتوري للعالم بتخريب العملية الديمقراطية عبر المال الانتخابي، وإفساد البيئة السياسية التي تحيل من الممارسة الديمقراطية إلى ديكتاتورية بلون أخضر، أي بطعم الدولار! بكلمات أخرى، أن المال الإنتخابي بهويته السعودية قد صبغ السماء اللبنانية باللون الأخضر، وإن شعار السماء زرقاء قد يصدق على كل مكان آخر غير لبنان، وخصوصاً في الموسم الانتخابي السابق.

سلسلة انتكاسات واجهت السياسة السعودية في الخارج منذ بداية الألفية الثالثة، وكانت بحاجة إلى (منجز) ولو وهمي كيما يعيد ترميم صورتها، ولذلك ما إن أعلنت النتائج غير الرسمية، عشية السابع من حزيران حتى بادرت قناة (العربية) عن فرحة استباقية، ما لبث أن عكست نفسها في لغة انتقامية ظهرت في مانشيت صحيفة (الشرق الأوسط) المملوكة لأسرة الأمير سلمان، حاكم الرياض، في الثامن من يونيو، أي بعد إعلان النتائج الرسمية للإنتخابات، حيث جاء (إنكسروا..وانتصر لبنان)..مانشيت يفصح عن الاستبطان السياسي لدى العائلة المالكة وزلمانها، الذين شاركوا بكل الثقل الاعلامي والفضائي لدعم فريق ١٤ آذار، وتحوّلت قناة (العربية) السعودية إلى وسيلة إعلامية لبنانية تعمل لصالح ذاك الفريق. وبحسب بعض المتابعين الأجانب لردود الفعل السعودية على فوز فريق ١٤ آذار، فإن مانشيتات الصحف السعودية، وخصوصاً الموجودة في الخارج، تكشف عن لغة طائفية رافقت الحملة الانتخابية حتى موعد التصويت، بل إن الحديث عن صراع المشاريع والمحاور الذي ظل مهيمناً على لغة الصحافة السعودية يعكس التحدي الذي عاشته العائلة المالكة في السعودية ضد خصومها في لبنان وخارجه.

الإبتهاج السعودي اللافت بفوز ١٤ آذار لفت إلى حجم الرهان السياسي عليه، وأيضاً حجم الاستثمار المالي الذي رصدته أجنحة الحكم في السعودية لناحية تدعيم موقف حلفائها في لبنان. ولم يخفِ الإعلام السعودي إنحيازه التام في هذه الانتخابات، تماماً كما هو المال الإنتخابي الذي انهمر بغزارة على المرشّحين في هذا الفريق.

نبرة الشماتة، كما وصفها بعض المراقبين الأجانب، في وسائل الإعلام العربية التي تسيطر عليها السعودية كانت تعبيراً عن (انتصار) المال السعودي على الديمقراطية اللبنانية، فقد كان المال الناخب الأكبر في الإنتخابات اللبنانية. لم تكن الزيارات المفاجئة التي قام بها السفير السابق ووزير الثقافة والإعلام عبد العزيز خوجه الى لبنان في غضون شهرين قبل موعد الانتخابات لمجرد الحنين إلى مناخ لبنان أو طبيعته أو حتى حراكه الثقافي والأدبي، بل كان يصطحب معه حقائب مالية لتسوية الخلافات بين حلفاء فريق ١٤ آذار.

فالمزاد الإنتخابي الذي دشّنه المال السعودي أفضى إلى تسليع العملية الديمقراطية، وابتذال إرادة الناخبين، وصار الحديث عن أثمان متفاوتة للصوت الانتخابي محرّضاً على تزوير الوعي، حيث بلغ ثمن الصوت الواحد في منطقة زحلة، على سبيل المثال، ٤٠٠٠ دولار، فيما بلغ إجمالي حجم الانفاق السعودي على الحملة الانتخابية وشراء الأصوات نحو مليار ومائتي مليون دولار، شملت شراء وسائل إعلامية بصورة دائمة أو مؤقتة، إضافة إلى شراء ذمم شخصيات سياسية مسيحية وشيعية وسنيّة لبنانية.

مرحلة ما بعد الانتخابات

ضمنت السعودية بعد فوز فريقها نفوذها في لبنان، وبدت مرتاحة الآن كونها تعود مجدداً الى الساحة اللبنانية بتصميم أكبر بعد أن خسرت مواقعها في السابع من آيار من العام الماضي، وبروز الدور القطري التوفيقي، الذي كاد أن يهدد بزوال اتفاق الطائف نفسه.

فوز حلفاء السعودية في لبنان يأتي في مرحلة مختلفة، وبشروط مختلفة، وإن استمرار فريق ١٤ آذار

في نهجه السابق المشاكس لن يؤدي سوى إلى بقاء الأزمة الداخلية، بما تحمله من تهديدات اقتصادية وأمنية وسياسية واجتماعية. ولذلك، تنبّهت السعودية إلى أن نفوذها غير مضمون في حال تمسكت برهانها على (كسر) الخصوم، بما يفتح الباب أمام أزمات داخلية، ولاسبيل أمامها سوى التخلي عن منطق التفرّد، والتهويل العلني ضد الفرقاء الآخرين. وهذا يتطلّب تبديل الوجوه والسياسات، التي ارتبطت في وعي كثير من اللبنانيين بفترة التأزيم السياسي والأمني.

من وجهة نظر بعض المتحايدين، أن ثمة اتفاقاً غير مكتوب بين دمشق والرياض على أن تحتكر الأخيرة النفوذ الاقتصادي، فيما تتمتع الأولى بنفوذ سياسي وأمني، ولكن ليس الأمر على هذا النحو من البساطة، فالرياض لن تكتفي بنفوذ إقتصادي بدون قوة سياسية وحتى أمنية تحمي بها هذا النفوذ، كما لن تسمح دمشق، في حال وثقت من عودة علاقاتها مع واشنطن، بأن يكون لبنان منطلقاً لتهديد الأمن السوري.

في تقديرنا، أن فوز حلفاء السعودية في لبنان بقدر ما أراحها من هاجس انتصار المعارضة بقيادة حزب الله، فإنه أيضاً فرض عليها اعتماد لغة ونهج مختلفين عن السابق. ربما، كانت إشارات دمشق بليغة قبل الإنتخابات وبعدها، فقد أظهرت الحكومة السورية إهتماماً باهتاً بالانتخابات اللبنانية، واعتبرته شأناً داخلياً، وحين فازت الموالاة لم تتردد دمشق في اعتبار ما حصل في السابع من يونيو بأنه تعبير عن الروح التوافقية في لبنان، والتي

المال الإنتخابي بهويته السعودية صبغ السماء اللبنانية باللون الأخضر، فالسماء لم تكن زرقاء في لبنان، وخصوصاً في الموسم الانتخابي

تتمنى أن تنعكس في تأليف الحكومة الجديدة. لم يتردد الرئيس السوري في الاتصال بالملك عبد الله، لابلاغه تهانيه بفوز حليفه، وهذا من عجائب الشرق عموماً، ولبنان خصوصاً، كما هي من مفارقات سيادة لبنان واستقلاله وحريته. على أية حال، فإن جواً من الإنفراج بدأ يتسلل تدريجاً إلى العلاقات بين عواصم عربية بقيت متخاصمة على لبنان، وإن (التعويض عن الخسارة) بالنسبة للسعودية كان كافياً لأن تعيد الأخيرة ترتيب أوراقها لا على قاعدة خصومة جديدة وإنما على قاعدة انفتاح مدروس على مختلف الفرقاء. وهذا ما تنبّهت له الأطراف السعودية المتخصّصة في الشأن اللبناني، فبينما كان المال الانتخابي يغمر الفضاء السياسي اللبناني، كان خيار الإنفتاح على (الآخر) ساري المفعول، كما عبّرت عنه أول مرة زيارة السفير السعودي الجديد في بيروت علي عسيري لنائب الأمين العام لحزب الله الشيخ نعيم قاسم، وأعاد عسيري العبّارة المعلّبة (نحن على مسافة واحدة من كل الأفرقاء في لبنان). بل أن عسيري تجاوز، وعلى غير العقلية الكيدية والانتقامية للسعودية، ما حصل لسلفه خوجه الذي هرب عن طريق البحر، بعد إحراق مبنى (تلفزيون المستقبل) من قبل الحزب السوري القومي الاجتماعي، وقرر زيارة قيادة الأخير.

وفيما يبدو فإن الخارج اللبناني سبق داخله في ترتيبات ما بعد الانتخابات اللبنانية، فقد فتحت فجأة قنوات التواصل بين أكثر من عاصمة عربية على بعضها، وبدأ طريق دمشق ـ القاهرة ـ الرياض، يستعّد لمرور عجلة العلاقات العربية مرحلة الأزمة وتدشين زيارات متبادلة وصولاً إلى القمة الثلاثية. لا شك أن السعودية مازالت تأمل في فك الإرتباط بين دمشق وطهران، من أجل تأمين نفوذها في لبنان، والمنطقة عموماً، ولكن لا يبدو أنها ستصرّ على موقفها، في ظل مناخ يسوده التبدّل السريع، سواء على خط الإنفتاح الأميركي والأوروبي على إيران، أو حتى على مستوى التحفّظ الإيراني عن الإنخراط الكثيف وغير المحسوب في معادلات المنطقة. وبخلاف تصوير الدبلوماسية السعودية للدور الإيراني، فإنه بدا أكثر نضجاً بالقياس إلى (الشيطنة المفتعلة) التي تقوم بها الماكينة الإعلامية السعودية، وهو ما يدركه الأميركي والأوروبي بصورة شبه كاملة، وقد جرّب الكفاءة الدبلوماسية الإيرانية في ملفات مثل أفغانستان وباكستان وحتى العراق، الذي ماكان له أن يشهد تحسّناً في أوضاعه الأمنية لولا التدخّل الإيراني.

على أية حال، فإن الإرتياح السعودي في لبنان، والذي انعكس في تصريحات حلفائه مازال موضع ترقّب حذر من قبل المعارضة اللبنانية، والتي ستضبط إيقاعها السياسي بحسب ما تقرره الموالاة في المرحلة المقبلة. وقد يفهم المراقب من تريّث قيادة حزب الله في إبداء موقفها من تصريح زعيم تيار المستقبل سعد الحريري بخصوص سلاح المقاومة، والذي اتسّم بالإيجابية غير المسبوقة، إلى حد أنه أبدى استعداداه لتقديم شيك على بياض لقيادة المقاومة بكتابة ما تشاء في البيان الوزاري، بأن ذلك التريّث يومىء إلى الحريري بتحويل موقفه إلى فعل.

الهدوء الذي كسى المشهد السياسي اللبناني في الأيام الأولى التي تلت الانتخابات، عكسته ابتداءً تصريحات سعد الحريري والزعيم الدرزي وليد جنبلاط، والذين خفّفا من النبرة الابتهاجية، على خلاف النبرة الانتقامية التي انفجرت في الإعلام السعودي، وكان التأكيد لدى أقطاب الموالاة الكبار على إهداء فوزهم للبنان، تماماً كما فعل حزب الله في عيد التحرير وبعد حرب تموز، الذي أهدى منجزيه إلى لبنان بكل قواه وطوائفه. لغة توافقية كهذه لا شك أنها ستطوي جزءً كبيراً من التراث الخصامي الذي تراكم خلال سنوات، حيث كان التخوين المتبادل سمة العلاقة السائدة بين المعارضة والموالاة، وتم استدراج القوى الإقليمية والدولية بمن فيها الولايات المتحدة كيما تصبح فريقاً محلياً. سعد الحريري الذي تصرّف بعد الانتخابات باعتباره رئيس الحكومة المقبل أطلق إشارات طمأنة في جميع الإتجاهات، بما فيها الاتجاه إلى سورية، حيث أكّد هذه المرة على ضرورة أن تكون العلاقات مع سورية إيجابية، وقد تكون هذه إحدى الرسائل السعودية التي أبلغوها



للحريري، إذا ما أراد تولي رئاسة الحكومة. ويذكر السوريون جيداً ما نقله رئيس الاستخبارات العامة السعودي الأمير مقرن بن عبد العزيز، حين قاد مبادرة ترميم العلاقات بين الرياض ودمشق قبل عدّة شهور. وبطبيعة الحال، لم يكن بإمكان الحريري أن يحظى بتأييد سعودي لولا مباركة سورية تفتح الطريق بين بيروت ودمشق.

ولكن، يحسب للزعيم الدرزي دوره المتميّز هذه المرة في امتصاص مفاعيل التوتر المحتملة، من خلال إشاعة أجواء طمأنة سبقت موعد الانتخابات بكثير، بل تعود بدرجة أساسية إلى مابعد حوادث السابع من أيار العام الماضي، حيث فرض جنبلاط لغة جديدة على حلفائه في الموالاة، لغة تتميز بالاعتدال والانفتاح، وضرورة تجاوز الماضي لناحية استيعاب القوى السياسية كافة موالاة ومعارضة ضمن النظام اللبناني الجديد. ولم يكن غريباً أن يتصدى جنبلاط لاتهامات (دير شبيغل) الألمانية لحزب الله بمقتل رفيق الحريري، ويوجّه انتقادات شديدة اللهجة للكيان الإسرائيلي، ويحذّر من الأدوار الشريرة التي يمكن أن يلعبها هذا الكيان في إشعال فتنة داخل لبنان.

وقد يذهب البعض إلى أن جنبلاط وحده الذي تفرّد هذه المرة من إرغام السعودية وحليفها تيار المستقبل في تغيير اتجاه سيره التصادمي، وتبني لغة تصالحية. والسبب ببساطة أنه يملك قوة الترجيح في الميزان السياسي اللبناني، فبإمكانه إن قرر قلب المعادلة أن ينتقل بكتلته النيابية إلى جبهة المعارضة ليتبدّل الواقع اللبناني برمته. في الواقع أن قوة الترجيح هذه ستبقى قائمة على الدوام في ظل أحاديث مطوّلة ومتواصلة عن تبدّلات دراماتيكية محتملة في خارطة التحالفات.

كاميرات (الهيئة)

الإختراق الإلكتروني للمجتمع

سعد الشريف

المقترح الذي تقدّم به الشيخ سلمان العودة في ٧ مايو الماضي بنصب كاميرات في الأسواق العامة لمراقبة المخالفات، أدّت إلى اندلاع احتجاجات واسعة وسط طيف واسع من المواطنين والإعلاميين الحقوقيين والعاملين في مؤسسات المجتمع المدني. وقال العودة خلال ملتقي إعلاميي منطقة الرياض في مايو الماضي (على الهيئة بقيادتها الجديدة الإستفادة من التقنيّة ولقد اقترحت على الهيئة وجود كاميرات مراقبة في الأسواق والأماكن العامة لرفع الحرج عن رجال الهيئة وستكشف هذه الكاميرات أي مخالفة ووجودة أنظمة صريحة لمواجهة ظواهر مثل التحرس)، بحسب ما جاء في جريدة الندوة في ٣٠ مايو الماضي. وقد رحّب مدير هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمنطقة مكة المكرمة أحمد قاسم الغامدي بدعوة الشيخ العودة قائلا: (لا أرى في استخدام كاميرات المراقبة في الأماكن العامة بأساً، فعادة يتم تصوير الناس وهم في حياتهم العامة).

ولكن الموقف بالنسبة للغالبية العظمى كان مختلفاً بل ناقداً للمقترح وتطبيقه، كونه يمهّد السبيل لانتهاكات واسعة من قبل (هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) في وقت تزداد فيه الانتقادات للأدوار الاختراقية التي يقوم بها هذا الجهاز، وإن المطالبة بتوفير مزيد من الدعم المالي، بحسب اقتراح الشيخ العودة، يمنح (الهيئة) سلطة واسعة تخترق خصوصيات الأفراد والعوائل، بحجة منع المخالفات الشرعية، فضلاً عن أن إمكانية إساءة استعمال الكاميرات من قبل رجال الهيئة واردة بقوة.

في مقالة عبد الله أبو السمح، التي نشرت في صحيفة (عكاظ) في ٨ يونيو بعنوان (خرق لحقوق الإنسان) تساؤل جوهري عن صوابية نصب الكاميرات في الأسواق العامة، رغم كونه إجراءً غير حضاري ومخالفة صريحة لحقوق الإنسان. ويرى أبو السمح أن هذا التدبير يعني تحويل الأماكن العامة إلى ما يشبه السجن، بما يخضع المجتمع إلى أجواء بوليسية، ثم ماهو المبرر الشرعي والحقوقي والأخلاقي الذي يسمح بمراقبة الناس في الأسواق العامة ومتابعة حركاتهم وسكناتهم خفية وتجسساً، أضف إليه ما ينطوي عليه مثل هذا الإجراء من إهانة للناس، بوضعهم موضع الشك الدائم، وأنهم موضع تهمة. ويثير ابو السمح نقطة جديرة بالإهتمام وتتعلق بالمعايير المعتمدة في تحديد ماهو حسن وقبيح في سلوك الناس، مستعيداً ما جرى الشهر الفائت في قضية إمساك الزوج يد زوجته في الأسواق والأماكن العامة.

وكانت صحيفة (الوطن) قد نشرت في ٢٩ مايو الماضي آراء أخصائيين في الطب النفسي ودعاة ومواطنين في المسألة. وفيما يرى الأطباء النفسانيين بأن ارتباط أيدي الزوجين أثناء سيرهما أو حتى جلوسهما مع بعض يشعر الزوجة بالأمان والزوج بالحنان، فإن فقهاء المدرسة السلفية رأوا بأن ذلك لا يجوز لما فيه من إثارة للفتنة. ويحسب عضو مجمع الفقه الإسلامي الدكتور محمد النجيمي إن (ما تعارف عليه بين الناس أن الإنسان لا يمسك يد زوجته في الأماكن العامة، وأن مسك الرجل ليد

> **اليوم كاميرات مراقبة في الاسواق العامة، وقد يأتي من يطالب بنصبها فوق أسطح البنايات العالية وعند مداخل البيوت لمراقبة المجتمع بأسره**

الزوجة فيه نوع من الإثارة، ويجب على الإنسان اجتناب كل ما هو مريب). وأضاف (أرى أن ذلك مخالف شرعاً، ومن يدري الناس أنها زوجته).

وكان مواطن يدعى تركي سعد السالمي قد تعرّض للضرب في شهر مايو الماضي داخل الحرم المكي على يد أحد ضباط الأمن لأنه شاهد السالمي يمسك بيد زوجته. وقال في توضيحه لجريدة (عكاظ) في ٧ مايو الماضي بأنه كان يؤدي مناسك العمرة مع زوجته التي ارتبط بها قبل خمسة أيام فقط من الحادثة، وعند سيره وزوجته في المنطقة المركزية صادف وجود ازدحام بشري، الأمر الذي دفعه للإمساك بيد زوجته حتى لا تتوه أو يحدث لها مكروه، وأثناء حديثنا مع بعضنا، تفاجأت بشخص يلبس ثوباً يقوم بفصل أيدينا عن بعضها، متلفظاً علي بألفاظ مفادها بأني أخدش الحياء، فأخبرته بأنها زوجتي ومن حقي أن أمسك بيدها، إلا أنه أصر على موقفه، مدعياً بأنه ضابط أمني وتجمع حولنا الناس.

إذا كان الأمر على هذا النحو في مسألة إجتماعية ليس فيها حكم شرعي بل يكاد العرف يشكّل أساسها الفقهي بالنسبة لعلماء المدرسة السلفية، رغم أن هذا العرف ليس هو نفسه في كل مناطق المملكة، ولا ينطبق على كل الفئات، وأن الأجهزة الدينية تعاملت بهذه الطريقة من القسوة والارتجالية، فما بالك بمشاهدات الكاميرا التي قد تسمح للهيئة بتفسيرات مخالفة للواقع، بالنظر إلى أن الخلفية المتشدّدة لدى رجال الهيئة لابد أن تعكس نفسها في (صيد الكاميرا) الخاصة بالهيئة. ثم هل يجوز لأي كان، وحتى أمير المؤمنين، التجسّس على خلق الله سبحانه وتعالى بحجة منع الرذيلة. ومتى كان ذلك جائزاً في شرع الله، وهل يبقي ذلك على حد من الخصوصية، ومن يعلم فقد يأتي من يطالب بنصب كاميرات فوق أسطح البنايات العالية وعند مداخل البيوت وربما في أحواشها لمراقبة السلوك العام للمجتمع ومنع وقوع المخالفات.

يذكّر أبو السمح رجال الهيئة ما تعنيه عملية نصب كاميرات المراقبة بالنسبة لمن هم في الخارج، وماهو الإنطباع الذي سيتشكّل لديهم من جراء مثل هذا التدبير خصوصاً (حين يقال

إن المواطن السعودي تحت المراقبة الأخلاقية..)، ويحيل تحفّظاته إلى هيئة حقوق الإنسان كيما تكسر حاجز الصمت إزاء القضايا ذات الحساسية الخاصة.

بالنسبة لأسماء المحمد من صحيفة عكاظ، حيث كتبت في ٨ مايو مقالاً بعنوان (الكاميرات واستفزاز رجال الهيئة) وتبدأ من المشهد الافتراضي في المراكز التجارية (ليس معقولا أن تجتمع أسرة في مطاعم المراكز التجارية وتتناول النساء الغداء أو العشاء وهن يعلمن أن كاميرات مراقبة ترصدهن، ويحتجبن عن رجال المجتمع وتكشف الوجوه للرجال المتواجدين أثناء مراقبة السوق خلف الكاميرات، ونحن نعلم بمزايا تلك الكاميرات المصممة بحيث تلتقط الكثير من اللقطات عن قرب وتوضح دقة الملامح، هذا لسان حال جدال العائلات حول هذا القرار وما يحتشد في المجالس).

وتستعيد المحمد الإشكالية الجوهرية حول الجانب الحكمي في السلوك العام، في ظل تسامح أو صمت أو غياب أحكام فقهية على صلة مباشرة بالمسائل الإجتماعية المطروحة، كإمساك اليد أو المرافقة في الأسواق العامة، حيث تخضع الأحكام لذوق وتقييم وثقافة المراقبين للسوق من العاملين في الهيئة، خصوصاً (في ظل عدم تدوين وتوضيح وإعلان ماهو الممنوع وما هي عقوبته).

وترى المحمد بأن مناقشة موضوع الكاميرات جاءت متأخرة كثيراً، كما تفهم ذلك من تصريحات رئيس الهيئات ووكيله، من أن القرار صدر وتم الإنطلاق في تطبيقه قبل دراسته باستفاضة، ولذلك تكتفي بطرح أسئلة من قبيل: ماهو شعور آباء وأزواج وأشقاء يعلمون أن كاميرات مراقبة تلتقط أدق تفاصيل نسائهم، وكيف تستعرض النساء بعض السلع وتعاين قبل الشراء؟ والذين ستحد الكاميرات من تحرشهم أليسوا مرضى سيمارسون أمراضهم بعيداً عنها؟ والمعاكسة عن طريق البلوتوث أو التقنيات التي لاتلتقطها الكاميرات أية وسيلة ستراقبها؟ هل أخذ برأي المجتمع المستهدف حمايته قبل إقرار التطبيق؟ من الذي يقرر أن ماصدر من أحدهم (فتاة، أو فتى) يعد استفزازاً لرجال الهيئة يوجب العقوبة، وماهي العقوبة، وماحجمها؟

وحسم عبد الله يحيى بخاري في مقالته المنشورة في صحيفة (عكاظ) في ٩ يونيو الجاري بعنوان (لا ..لكاميرات التجسس) الموقف باعتقاده أن الوظيفة المنوطة بهذه الكاميرات تتجاوز مراقبة السرقات والجرائم، فضلاً عن حماية المحلات التجارية، أو حماية المواطنين والسكان وزوّار المحلات التجارية والسياحة من الإزعاج والمضايقات والسرقات والإعتداءات، أو حماية البنوك والمباني التجارية والمكتبية من جريمة سرقة أو اعتداء جسدي أو ما شابه ذلك في الأماكن الي تحتاج إلى مراقبة دقيقة لروّادها على مدار الساعة. فكل ذلك غير وارد، بحسب بخاري، في أجندة (كاميرات الهيئة)، بل إن الهدف بحسب الخبر المنشور في صحيفة (عكاظ) في ٢٧ مايو الماضي هو معالجة (الأخطاء التي يقع فيها الشباب لحمايتهم من الوقوع بها..!). ويتساءل بخاري: كيف تتم المعالجة من خلال كاميرات التجسس؟ وماهي هذه الأخطاء التي يقع فيها الشباب (ولايقع فيها الشيّاب مثلاً)؟ وكيف تستطيع الهيئة حماية الشباب من الأخطاء التي يقعون فيها باستخدام هذه الكاميرات؟ هل تسجل صورهم وحركاتهم وتصرفاتهم منذ دخولهم إلى المجمع التجاري، ثم إذا قام أحدهم بعمل يخالف مبادئ الأخلاق العامة يُسأل برفق واحترام أن يصحب رجال الهيئة إلى مكان خاص للتحقيق معه، دون أن يشعر من حوله من الزائرين بذلك؟

واسترسالاً مع بخاري، نقول إذا كان الأمر متعلقاً بإساءة أو تهديد أو ماشابه، أليس من مسؤولية أجهزة الأمن حماية المواطنين، أم أن (الهيئة) وحدها المخوّلة للقيام بذلك، خصوصاً وأن دور الكاميرا غير أخلاقي. فهل يفترض أن يلجأ المتضرر ذكراً كان أم أنثى الى (الهيئة) أم إلى الشرطة ورجال الأمن كيما يحافظوا على أمن المواطنين وسلامتهم من الاعتداء، ما لم تكن قد أصبحت (الهيئة) جهازاً أمنياً، مع الإقرار من وحي تجارب مستفيضة بأن الهيئة ليست على

إن جهاز (الهيئة) بالحجم الكبير والوعي المنخفض يحيل تدجيجه بمزيد من الأسلحة الحديثة المجتمع إلى مجرد وليمة وغنيمة لتنفيذ مآربه

قدر من الكفاءة الوعظية التي تحيل منها إلى جهاز تربوي. ولذلك يتكرر السؤال مجدداً لدى بخاري حول ما هو لائق وغير لائق وما هو شرعي وغير شرعي في تصرّفات الأفراد والأسر كيما تخوّل الهيئة نفسها سلطة الحكم عبر كاميرات المراقبة. وكيف سيتصرف رجل الهيئة إن شاهد أمراً من خلال الكاميرا؟ هل سيذهب إلى الشخص المشكوك في أمره ويهمس في أذنه، أم سيقبض عليه أمام خلق الله ويزجره ويعنفه ويأخذه للتحقيق. وماذا سيفعل رجل الهيئة إن رأى شاباً يمسك بيد أمه أو أخته ليساعدها على السير وتجنب الإزدحام في مركز تجاري، أو رأى أباً يقبل ابنته قبلة أبوية بعد أن اشترى لها هدية، هل سيخرج رجل الهيئة من مخبئه ويقبض على الرجل وابنته أو أمه ويواجههما بصورة الكاميرا ويطلب منهما إثبات صلة القرابة؟. ما يخلص إليه بخاري في تقييمه لدور الهيئة ووظيفة كاميرات المراقبة أن مهمة تجسّسية تقوم بها الهيئة في الأماكن العامة.

أما خالد قماش فيستحضر في مقالته في صحيفة (عكاظ) في ٩ يونيو بعنوان (من الخيزرانة إلى كاميرات المراقبة!!) المشهد الحالي بعناصره المتناقضة، ففي عصر الحوار وتقارب الأديان وتلاقح الحضارات واختلاط (حب المساقي بحب العثري)، كما يردد أسلافنا في الجنوب عليهم سحائب الرحمة .. تلاشى دور الخيزرانة شيئاً فشيئاً بدءا بجمس الهيئة ومروراً ببيوتنا وانتهاءً بطوابير المدرسة! ولكن ظل أثرها عالقا في طريقة التعامل والتحاور، واستحالت من جلد الأجساد إلى جلد الذوات والنفسيات ومطاردة السيارات وحرب الشوارع على الطريقة الأمريكية.لنصل كنتاج حتمي لسياق التقنية والتكنولوجيا، حيث ثورة الكاميرات والرقيب المتضخم في مجتمع مسالم.

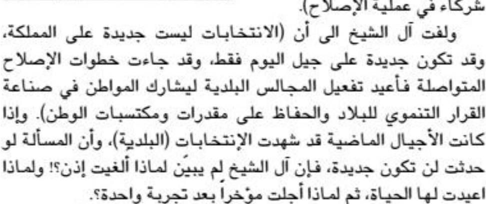
وبين علم النفس السلوكي وممارسات (الهيئة) يرسم قماش المساحة التي تفصل بين ما يمكن أن تنجزه كاميرات المراقبة وبين ما يجب أن تكونه الهيئة كرافعة لوعي المجتمع بالقيم الإسلامية والإنسانية وتطبيق مبدأ الثواب والعقاب، بما لا يخفي دعوته إلى الإصلاح حين يضع الوعي بالقيم النبيلة ملتحماً مع (نظام تشريعي يحلق بجناحي العدل والمساواة). ويذكّر (الهيئة) بانخفاض منسوب الوعي لدى عناصرها في مقابل جرعة الحماسة الزائدة التي يحصلون عليها من خلال تفويض شبه مطلق لمهامهم الدعوية. ولذلك يلفت إلى التجاوزات المتكرّرة لصلاحيات الجهاز من قبل بعض عناصره بدافع حماس ديني ديني أو تصادم مع كل ما هو حضاري ـ تحسين الصورة الغائمة أولا .. والتي تشكلت في وعي ولا وعي المجتمع إثر الحوادث الأخيرة، ثم اتباع النهج الرباني في المناصحة وتغليب الظن الحسن ومبدأ الستر والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ..ويكفي! هكذا أراد قماش أن ينهي مقالته مقطوعة، تاركاً للقارىء والمسؤول فهم البقيّة المشفّرة من الرسالة، والتي تدور حول أن جهازاً بهذا الحجم والوعي يجعل تدجيجه بمزيد من الأسلحة الحديثة متوحشاً في انقضاضه على المجتمع الذي يرى فيه مجرد وليمة وغنيمة.

كاميرات (الهيئة) كما جمسها، سيبقى مادة جدلية لبعض الوقت، وقد يفتح أفق نقاشات واسعة لدور الهيئة المثير للنقد منذ أكثر من عام، وإن ما وعد به الحنين من تطوير لهذا الجهاز بدأ بالتهافت التدرجي، بل أثبت في ضوء تواصل المخالفات المتكررة التي يقترفها عناصر الهيئة أن لا شيء يمكن تغييرها، وأن الدعوة إلى زوالها باتت راجحة.

انتخابات الشورى:

جاهزون لها، ولكنها ليست مطروحة للنقاش!

أكّد رئيس مجلس الشورى السعودي عبد الله بن محمد آل الشيخ أن انتخاب أعضاء مجلس الشورى موضوع غير مطروح بشكل رسمي حتى الآن. وقال آل الشيخ في حديث لمجلة (الدعوة) الإسبوعية التي يصدرها التيار السلفي الرسمي في ٢٠٠٩/٦/٤م: (إنني على ثقة تامة بأنه إذا ما أقرّ بشكل رسمي انتخاب أعضاء مجلس الشورى جزئياً أو بشكل كامل، فإننا جاهزون للانتخابات إذا أقرت بشكل رسمي).



وأشار آل الشيخ بأن الحكومة ممثلة في العائلة المالكة لم تطرح قط مسألة الإنتخابات، وأن ما يتداول مجرد حديث مجالس، أو حسب قوله فإن الموضوع (طرح من خلال الكتابات الصحافية والمنتديات الثقافية)، مضيفاً: (نحن في المجلس شركاء في عملية الإصلاح).

ولفت آل الشيخ الى أن (الانتخابات ليست جديدة على المملكة، وقد تكون جديدة على جيل اليوم فقط، وقد جاءت خطوات الإصلاح المتواصلة فأعيد تفعيل المجالس البلدية ليشارك المواطن في صناعة القرار التنموي للبلاد والحفاظ على مقدرات ومكتسبات الوطن). وإذا كانت الأجيال الماضية قد شهدت الإنتخابات (البلدية)، وأن المسألة لو حدثت لن تكون جديدة، فإن آل الشيخ لم يبيّن لماذا ألغيت إذن؟! ولماذا اعيدت لها الحياة، ثم لماذا أجلت مؤخراً بعد تجربة واحدة؟.

والغريب أن آل الشيخ قال بأن (مجلس الشورى من خلال أعضائه قام بجهد كبير للتعريف بأهمية مشاركة المواطن في الانتخابات).. مشيراً الى الإنتخابات البلدية فيما يبدو والتي أعلن عن تأجيلها لمدة عامين. والسؤال هو لماذا لم يوضح المجلس ممثلاً بأعضائه ورئيسه المعينين أهمية الإنتخابات لمجلس الشورى؟ وهل الشعب بحاجة الى توضيح أهمية الإنتخابات وإقناعه بها، في الوقت الذي يدعو ناشطوه وكتابه اليها؟ أم أن الخطاب يجب أن يتوجه الى العائلة المالكة ومشايخها الذين يقفون عقبة كأداء أمام أي إصلاح، والذي هم بحق بحاجة الى من يضغط عليهم لقبول فكرة الإنتخابات؟!

السفارة السعودية:

لم نوجه رسائل بعدم زيارة سورية

للعام الرابع على التوالي تتواصل حملات ورسائل مجهولة يعتقد أنها سلفية تحذر المواطنين من السفر الى سوريا، وأن السعوديين سيتعرضون هناك الى الابتزاز والاستهداف والتغرير لأخذهم الى العراق وبيعهم الى الميليشيات القاعدية وما أشبه من دعايات هدفها ضرب الموسم السياحي في سوريا. وكانت الحكومة السعودية تصمت عن تلك الحملات المنظمّة، ولا تنفي ما ينسب إليها من وثائق حكومية، وبعضها متعلق بلبنان أيضاً، كونها جزء من الحملة المنظمة ضد سوريا ومحاربة نظامها السياسي الذي كان الى وقت قريب يعيش صراعاً حاداً مع الرياض.

منذ قمة الكويت الأخيرة، في مارس الماضي، هدأت الجبهة السورية السعودية على الصعيد السياسي وإن لم تحقق اختراقاً واضحاً حتى الآن، وحتى الجبهة الإعلامية بردت كثيراً، غير ما يأتي بين الفينة والأخرى من لسعات في جريدة الشرق الأوسط وقناة العربية. ولهذا السبب، سارعت الحكومة السعودية هذه المرة الى نفي ما يُنسب اليها.

جاء النفي على لسان (مصدر دبلوماسي في السفارة السعودية بدمشق) والذي نفى أن يكون للسفارة أي علاقة بما يتم تناقله من رسائل عبر البريد الإلكتروني بين الشباب السعودي والمنتديات الإلكترونية من تحذيرات موجهة لهم بعدم السفر إلى سورية، مؤكداً أن الهدف من ذلك هو (الإساءة لعلاقة البلدين).

وأضاف بأن الرسائل الموجهة (مشبوهة ومجهولة المصدر تتكرر سنوياً في موسم الصيف، وان السلطات السعودية لا تعول على هذه المعلومات ولا تأخذها بعين الاعتبار) وزاد بأن (مصدر الرسائل مجهول ومشبوه والسفارة تحذر من الوقوع في شرك مثل هذه المعلومات الخاطئة والتي تنشر على خيوط الشبكة العنكبوتية)، مرجحا أن يكون (مصدرها من خارج السعودية) ربما في اشارة الى اسرائيل.

وكتب في الرسائل الالكترونية التحذيرية، التي عنونت بأن مصدرها السفارة السعودية في دمشق: (نحذر باسم السفارة السعودية من عمليات اختطاف وابتزاز للشباب السعودي والخليجي في حال زيارتهم لسورية). ووصف المصدر الدبلوماسي سورية (بأنها قبلة السياح السعوديين وأنهم الأكثر بين السياح العرب).

إعتقال ٤ سعوديين

يقاتلون مع الطالبان في (سوات)

اعتقلت السلطات الباكستانية سبعة أجانب بينهم أربعة يحملون الجنسية السعودية، وهم أحمد وعلي ومحمد وعبيد الله، والليبي عبد الله. إضافة إلى أفغانيين هما حسب الله وشهد الله. وجرت عملية الاعتقال فى منطقة موهمند القبلية المحاذية للحدود الأفغانية، فى أعقاب اشتباكات استمرت أكثر من ساعتين بين قوات الأمن الباكستانية والمسلحين. وعثر مع المعتقلين الذين كانوا يرتدون ملابس نسائية ويتحدثون العربية على جوازات سفر ووثائق تؤكد جنسياتهم. وأكد وزير الإعلام الباكستاني قمر الزمان كايرة وجود عناصر أجنبية في صفوف المسلحين الذين يقاتلون الجيش الباكستاني في وادي سوات. وأوضح في تصريحات صحافية أن عناصر من جنسيات أوزبكية وشيشانية وجنسيات أجنبية أخرى في صفوف المسلحين تقاتل ضد الجيش الباكستاني. من جهتها تجري السفارة السعودية فى إسلام آباد اتصالات مع السلطات الأمنية الباكستانية للتأكد من هوية المعتقلين، حسب صحيفة عكاظ (٢٠٠٩/٥/٢٢).





مسؤول سعودي كبير:
ايران وليس اسرائيل هي العدو الحقيقي

نشرت صحيفة (يديعوت أحرونوت) الاسرائيلية (٢٠٠٩/٥/١٩) عن مسؤول سعودي كبير قوله في حديث مع وزير خارجية احدى الدول الأوروبية أنه (في نهاية المطاف لا خيار حقيقي ضد إيران سوى الخيار العسكري).

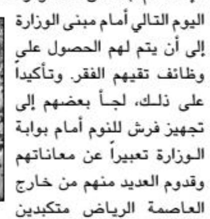
وحصلت الصحيفة الاسرائيلية على نص حديث سري للغاية من جهات أوروبية لمسؤول سعودي، لم تكشف الصحيفة عن هويته، واكتفت بالقول أنه معروف جيداً في الغرب. ونقلت الصحيفة عنه قوله: (ان إيران هي العدوّ الحقيقي بالنسبة للعالم العربي المعتدل). حيث يسعى الإيرانيون لزعزعة الاستقرار وزيادة التطرف في المنطقة، فيتوجب على العالم أن يصحو من غفلته لإيقاف ايران عند حدها.

وتقول الصحيفة ان المسؤول السعودي الكبير نظر بعين الاستخفاف الى الحوار الذي تعتزم ادارة الرئيس الأميركي باراك أوباما اجراءه مع طهران قائلا ان هذا الحوار ليس الا مضيعة للوقت. كما تحدث المسؤول السعودي بإسهاب عن جرائم الإيرانيين متهما إياهم بدعم الإرهاب الدولي ودعم حزب الله وحماس.

خريجو جامعات يعتصمون ضد البطالة، والملك يقول: خلاص!

فضّت قوات الأمن في ٢٠٠٩/٥/٧م تجمعات كبيرة من خريجي كليات المعلمين من دفعات ١٤٢٨/٢٧هـ والذين كانوا ينفذون اعتصاماً بجوار مبنى وزارة التربية والتعليم، بدأ منذ الساعة ٧:٣٠ صباحاً واستمر حتى منتصف الليل للمطالبة بتوفير وظائف لهم. وقد رفضت قوات الأمن مواصلة الإعتصام أبعد من ذلك، وفرقت الجموع عند منتصف الليل لتستأنف صباح





اليوم التالي أمام مبنى الوزارة إلى أن يتم لهم الحصول على وظائف تقيهم الفقر. وتأكيداً على ذلك، لجأ بعضهم إلى تجهيز فرش للنوم أمام بوابة الوزارة تعبيراً عن معاناتهم وقدوم العديد منهم من خارج العاصمة الرياض متكبدين مشاق السفر بحثاً عن الوظائف التي أصابهم الملل من كثرة الوعود بشأنها.

وقد سبق أن قامت عدة اعتصامات مماثلة لتجمعات شبابية تضم خريجي جامعات يبحثون عن العمل، استوقف أحدها الملك عبدالله نفسه، الذي وعدهم بحل مشكل البطالة في أسرع وقت!! حدث ذلك قبل يوم واحد من هذا الاعتصام، أي في ٢٠٠٩/٥/٦م أمام قصر الملك، وحين ظهر موكبه، ورأى الجمهور توقف حسبما تقول الأنباء للإستماع اليهم حيث شرح له ثلاثة من الخريجين معاناتهم. الملك من جانبه قال مهدئاً: (خلاص، خلاص، خلاص) وهذا أقصى حدود بلاغته!، وفهم من كلامه أنه يعد العاطلين عن العمل بحل نهائي.

السعودية: استخدام تطرّف الوهابية لاحتواء إيران والعراق

يقول المحلل السياسي (كارمان بوخاري) زميل مركز دراسات الإسلام والديمقراطية في واشنطن في تقرير نشرته صحيفة آسيا تايمز ان الرياض استخدمت وباتجاه سرّي معاكس لبرنامجها الذي يبدو منه مواجهة تطرف القاعدة، كل تطرّف الوهابية لإطفاء توتراتها الداخلية من جهة، ولاحتواء النفوذ الإيراني المتزايد في العراق، وأيضا لمواجهة صعود الشيعة العراقيين وهيمنتهم على السلطة.

وأضاف المحلل ان الملك عبد الله بن عبد العزيز تبنى نظرية بوش في الحرب على القاعدة عبر استخدام الوهابيين الرسميين أنفسهم، لمواجهة تداعيات الهزة التي أحدثتها تفجيرات سبتمبر على العلاقات السعودية الأميركية وعلى الوضع الداخلي السعودي نفسه. أما الهزة الثانية التي أصابت النظام في السعودية، فتمثلت بالنتائج التي أفرزتها عملية غزو العراق سنة ٢٠٠٣، وإسقاط نظام الرئيس السابق (صدام حسين) حيث صعد الشيعة الى الحكم، وترتب على ذلك دفع بالتيار الوهابي للعراق رجالاً وفكراً ومالاً لمواجهته بالقوة، الى حد دعم الزرقاوي (ابو مصعب)، وهو أمرٌ شكا منه الأميركيون لدى السعوديين الذين أنكروا الأمر.

ولم تستطع السعودية حتى الآن، وبرغم مضيّ ٦ سنوات على التغيير السياسي في العراق، استيعاب أو احتمال فكرة تعاطي العلاقة مع الحكومة الشيعية في بغداد، ذلك أنها تعدها امتداداً لإيران، ولا يمكن قبول هذا التمدّد الشيعي الذي تراه خطراً على (سُنّية) دول المنطقة.

ويرى الخبراء أن السعودية – التي دخلت في أتّون الهزة الثالثة عندما بدأت إيران تلوّح بمشروعها النووي– تشعر بأن من الضروري القيام بعمل عسكري لإيقاف إيران عند حدّها، وهي قد نسّقت وحضّت واشنطن وإسرائيل عبر بوابة الإستخبارات لشنّ هجوم على ايران يفضي إما لإسقاط نظام الحكم، أو على الأقل يقضي على الصناعة النووية الإيرانية. ولاتزال السعودية تحاول الدفع بهذا الإتجاه رغم وصول رئيس جديد لأميركا.

مقاضاة عربي سحق نملة في السعودية!

حسب ما ورد في الطبعة السعودية لصحيفة الحياة في (٢٠٠٩/٦/١١) فقد رفض قاضٍ في المحكمة العامة في محافظة عفيف (غرب السعودية)، أخيراً، النظر في دعوى تقدم بها مواطن سعودي ضد مقيم عربي، يتهمه فيها بقتل (نملة)، مستنداً في دعواه على بعض الأحاديث النبوية، والآيات القرآنية التي تدل على تحريم قتل النمل. ونسبت الحياة لمصدر أمني سعودي قوله: (إن أحد مواطني المحافظة تقدم بشكوى غريبة لدى مخفر الشرطة يدعي فيها على أحد المقيمين - عربي بقتل نملة، ذاكراً في دعواه: أن المقيم الذي يعمل في أحد أسواق المحافظة سحق نملة من النوع الكبير تحت حذائه بعنف، وبلا رحمة، وهو ما يحرمه الإسلام).

يأتي هذا في الوقت الذي يتصاعد فيه النقد للتيار السلفي الذي يتهمه الكثيرون بالتعامي عن فساد السلطة وخاصة العائلة المالكة، ويصمت عن انتهاكات حقوق المواطنين، بل ويشارك ذلك التيار في القمع باعتباره اداة في يد السلطة. وبدل أن يصبح التيار الديني مدافعاً عن حقوق المواطنين، راح يدافع عن النظام وفساده ويقف عقبة امام الإصلاح.

درس ابن جبرين في ألمانيا لعلماء الوهابية

لستم وحدكم في هذا العالم!

عبد الوهاب فقي

خلص الكاتب السعودي في صحيفة الرياض ناصر الصرامي في مقالة له حول رفع دعوى ضد الشيخ ابن جبرين وفتاواه المتعلقة بجواز قتل المخالف او المختلف معه في المذهب بأن (الاجتهادات الغير موفقة، و قصور الرؤية والإدراك للعالم لم تعد حجة كافية، أو مقبولة من شيخ أو طالب علم أو مفتي على المستوى الشخصي والقانوني، كما أنها أيضا تشكل إحراجا للبلاد ودفعها لمواقف سياسية مقابل اجتهادات مضرة بأمن بلاد الحرمين، وقيادتها المعتدله للعالم الإسلامي، هذا الواقع يؤكد أن الاجتهادات الضيقة والغير محسوبة أصبحت مضرة وخطرا يجب مواجهته داخليا قبل أن يتطور خارجياً). جاء هذا في مقالة للكاتب نشرها في موقعه تحت عنوان: (درس الشيخ بن جبرين).

والكاتب يرى أن قضية رفع دعوى ضد ابن جبرين (لم يكن متخيلاً خلال سنوات ماضية.. لكنه العالم يتغير ويصبح أكثر تشابكا، وهو أيضا يرصد كل الاجتهادات البسيطة والمعقدة. إلا أن الدعوى تقدم للحالة التي أصبح عليها العالم اليوم، ففي عصر النت المعرفي والاتصال، كل الأشياء العامة وحتى ما نعتقد أنها خاصة أو تطلق في مكان ضيق أو مساحة مسجد متواضع، أصبحت تصل بصورة وأخرى إلى العالم، وتبقى مسجلة ومكتوبة وموثقة).

ونصح الصرامي شيوخ الصحوة الذين يعتقد بأنهم أدركوا (الدرس القانوني) الذي واجه ابن جبرين بأن يوضحوا وينصحوا مشايخهم السابقين (الذين لايزالون يعيشون في العصر القديم وخيالاته بعيداً عن أدواته وأبعاده الجديدة التي رفضوها مقدماً) بأن ينتبهوا لهذا الدرس.

ما هي القضية؟

ملخص القضية هو أن السيد علي السراي، رئيس لجنة انتفاضة المهجر، والمقيم في ألمانيا، رفع دعوى ضد الشيخ ابن جبرين الذي جيء به للإستشفاء في المستشفيات الألمانية في بدايات مايو الماضي. وملخص الدعوى يفيد بأن الشيخ ابن جبرين داعية عنف وإرهاب، وأن فتاواه التكفيرية أدّت الى مقتل الآلاف من المواطنين العراقيين وغيرهم، كما أنه داعم صلب لأسامة بن لادن، اضافة الى أن ابن جبرين يجيز قتل الشيعة، وقد أفتى بذلك، وهو ما أدّى بحسب الدعوى الى تدفّق آلاف من الوهابيين من السعودية وغيرها الى العراق للقيام بعمليات تفجير وانتحار قضت على أرواح الآلاف من الأبرياء. وفضلاً عن ذلك هناك دعوات لابن جبرين لتدمير الأماكن المقدسة الشيعية والكنائس المسيحية في العراق، وبناء على ذلك تم تفجير مرقد سامراء، وتعرضت كنائس عراقية كثيرة للتدمير والإعتداء، وقتل العشرات من المسيحيين بدون سبب.

وبناء على ذلك، ونظراً لأن ابن جبرين يمثل مرجعية كبيرة للسلفيين في السعودية والعالم الإسلامي، اعتبرته الدعوى إرهابياً واتهمته بالقتل وممارسة جرائم ضد الإنسانية، تواصلت حتى أسبانيا ولندن، وربما تصل الى ألمانيا نفسها.

السراي وجّه رسالة الى من أسماهم (إخوتنا وأحبتنا في بلاد الحرمين الشريفين) أشار فيها الى إصراره على مواصلة رفع الدعوى ضد ابن جبرين وضد من اعتبرهم (مجرمي مشايخ الوهابية أصحاب الفتاوى التكفيرية التي تجيز القتل) وملاحقتهم مهما طال الزمن. ووجه حديثه الى المواطنين السعوديين بالقول: (هل ترضون بأن يُقتل إخوانكم الأبرياء من أبناء الشعب العراقي جراء فتاوى من يدعي الاسلام والاسلام منه ومن أفعاله براء؟ أم أن من العدالة ان تسكتوا دونما إدانة أو رفض أو حتى مجرد إستنكار لمثل تلك الفتاوى التي قتلت عباد الله دون رحمة ودون تمييز بين طفل صغير أو شيخ كبير أو امرأة؟). وأضاف بأنه لا يحمل عداءً لأي أحد او مجموعة أو طائفة، أو أي دولة من دول الجوار (بل نحن أصحاب قضية عادلة وحق يجب الدفاع عنه وملاحقة كل المجرمين والارهابيين الذين تسببوا في سفك دماء شعبنا وتقديمهم إلى العدالة والمحاكم الدولية، بغض النظر عن ماهية هؤلاء ودينهم وقومياتهم وإتجاهاتهم).

وبناء على الأدلّة المقدمة من قبل السراي ولجنته، والتي حوت مقاطع صوتية وأخرى تلفزيونية وثالثة من موقعه تجيز القتل وتحثّ عليه، تقدّمت الدعوى بسرعة لتصبح قضية رأي عام في ألمانيا.

أول ما كشفت عنه الدعوى، هو القلق الرسمي السعودي على ابن جبرين عضو هيئة كبار العلماء وهيئة الإفتاء سابقاً. وفي زيارة لوزير الداخلية الألماني للرياض ولفغانغ شويبلي في ٢٧/٥/٢٠٠٩م، وفيما كان ابن جبرين في المانيا يتلقى العلاج على حساب الحكومة السعودية، طرح الأمير نايف على نظيره الألماني موضوع ابن جبرين، رغم ان الزيارة تتعلق بالتعاون الأمني لمكافحة الإرهاب. وحسب ما كشفه الأمير نايف، وزير الداخلية، وما نشرته الحياة في ٢٨/٥/٢٠٠٩، فإن السعودية أوضحت للوزير الألماني أن الدعوى المرفوعة ضد ابن جبرين غير صحيحة ولا أساس لها، وأن ابن جبرين لا يمثل أي جهاز رسمي. وحسب نايف فإن الوفد الألماني وعد بأن (الشيخ ابن جبرين) لن يمس بأي شيء!



علي السراي: مقدم الدعوى

وكان تصريح نايف قد نشرته وكالة انباء واس السعودية، وأشار فيه الى انه شخصياً ركّز في مباحثاته مع نظيره الألماني على (شرح موضوع بعد الإرهاب عن الإسلام حتى يكون هذا معلوماً لدى المسؤولين الأمنيين الألمان، كما سبق أن أوضحته المملكة لدول صديقة أخرى). وأضاف بأنه (حرص خلال تلك المباحثات على توضيح طبيعة الشعب السعودي وطبيعة تمسكه بالعقيدة، والتأكيد على أن الإرهابيين ضد العلماء السعوديين ذاتهم بل وصلوا إلى تكفيرهم فضلا عن تكفير المسؤولين والشعب السعودي) في اشارة الى القضية المرفوعة ضد الشيخ ابن جبرين حسبما يرى مراقبون. وتابع: (حاولنا أن نعرف ونحصل على أفضل تعاون مع أصدقائنا في ألمانيا بشأن السعوديين الذين يذهبون إلى ألمانيا للعلاج أو للتجارة أو للسياحة أو للتعليم وأكدنا لهم

احترامنا لأنظمتهم) في اشارة أخرى الى موضوع ابن جبرين.

هذا التصريح السعودي سبب مشاكل لوزير الداخلية الألماني الذي نفى أن يكون قد وعد السعوديين بشيء، بل أنه أكد لهم بأن القضاء الألماني مستقل ولا يمكن التدخل في السلطة القضائية. ووكيل الداخلية الألماني أبدى ارتياحاً بأن ابن جبرين قد غادر ألمانيا قبل أن يتسبب وجوده في مشاكل معقدة مع السعودية على خلفية الدعوى القضائية المرفوعة ضده.

يأتي هذا في وقت تحدثت فيه تقارير ألمانية عن وجود شبكة إسلامية متشددة خطرة في ألمانيا لها اتصالات مع تنظيم القاعدة وغيرها من الحركات الإرهابية وتعمل على تدريب شبان مسلمين وارسالهم الى باكستان وافغانستان لـ (الجهاد). وكان البرلمان الألماني (البوندستاغ) قد وافق في ٢٠٠٩/٥/٢٨ على مشروع قانون جديد يهدف إلى توقيع عقوبات جنائية بحق كل من يثبت تلقيه تدريبات في (معسكرات الإرهاب). ويتضمن القانون الجديد إيقاع العقوبة الجنائية بحق من يبحث عن إرشادات حول كيفية تصنيع القنابل على الإنترنت، حسب وزيرة العدل الألمانية.

مغادرة ابن جبرين

وفي الوقت الذي أشار فيه علي السراي (مقدم الدعوى) إلى أن السلطات الألمانية طلبت منه وممن رفعوا الدعوى ضد الشيخ ابن جبرين الحضور للحوار مع الأجهزة المعنية لمناقشتهم في الأدلة المقدمة من قبلهم، أكد أن الاجتماع الذي استمر ثلاث ساعات أسفر عن صدور مذكرة رفعت إلى الادعاء العام الألماني كي يتم دراستها وبعد ذلك سيكون الأمر بيد المدعي العام. وأعرب عن أمله في أن يسارع المدعي العام الألماني بإصدار مذكرة التوقيف بحق الشيخ ابن جبرين، مشيرا إلى أن هناك محاولات قد تتم لتهريب (ابن جبرين) أو إخفائه.

وبالفعل، لم تشعر السعودية بارتياح من تطورات الدعوى، وعمدت ـ وعلى وجه السرعة ـ الى إرسال طائرة إخلاء طبّي لإعادته الى السعودية التي وصلها أواخر شهر مايو الماضي.

القلق من احتمال اعتقال ابن جبرين مع ما يسبب ذلك من حرج للحكومة في محيط أنصارها النجديين الوهابيين، كما في العالم، دفعها وقبل الإقدام على خطوتها الى استشارة مكتب محاماة تتعاطى معه السفارة السعودية في برلين، حيث أكد المكتب أن الدعوى جادّة وأن احتمال صدور قرار من المدعي العام بتوقيفه أو منعه من السفر قد تصدر في أية لحظة. وعلى إثر ذلك طلبت الداخلية السعودية من السفارة السعودية انهاء ملف ابن جبرين في المستشفى والإستعداد لنقله عبر طائرة الإخلاء الطبي خلال ساعات، الأمر الذي فاجأ مسؤولي المستشفى نظراً لعدم استكمال العلاج. وأفادت مصادر معارضة بأن الأمير محمد بن نايف الذي يتولى إدارة وزارة الداخلية نيابة عن والده اتصل بالشيخ ابن جبرين وأطمأن على صحته، ولم يفتح معه موضوع الدعوى القانونية التي حرص المقربون منه أن لا يبلغوه بشأنها حتى عودته الى الرياض.

لكن مكتب ابن جبرين أصدر بياناً حول عودته قال فيه بأن عودة الشيخ السريعة الى البلاد لم تكن بسبب القضية المرفوعة ضده وإنما بسبب استكماله للعلاج، وأضاف البيان: (بعد أن استقرت حالة الشيخ في ألمانيا ورتبت له الأدوية المناسبة لعلاج حالته، رأى الأطباء أن فترة العلاج قد تطول قليلاً، وبناء عليه تم التفاهم معهم لانتقال الشيخ إلى الرياض ليكون قريبًا من أهله ومحبيه، مع بقاء المتابعة العلاجية المقترحة من الأطباء الألمان). وتابع: (عاد الشيخ صباح السبت الموافق ١٤٣٠/٦/٦هـ ـ ٢٠٠٩/٥/٣٠م إلى الرياض بطائرة الإخلاء الطبي، ووصل إلى مستشفى الملك فيصل التخصصي سالما بحمد الله دون أي مضاعفات، واستلم الأطباء في المستشفى الحالة من الفريق الطبي الألماني الذي رافقه في رحلته، وسيكمل الأطباء هنا البرنامج العلاجي حتى يتم شفاء الشيخ بمشيئة الله تعالى). وخلص البيان الى: (نطمئن الإخوة بخصوص القضية التي نشر أنها رفعت ضد الشيخ، فإنه أثناء وجود الشيخ في ألمانيا لم نر لها أي أثر في الواقع).

القضية قائمة وتثير جدلاً

بعد (تهريب) ابن جبرين من ألمانيا الى السعودية، ثار الجدل ضد الحكومة وضد وزير الداخلية الألماني، وطرحت الأسئلة المثيرة في الصحافة والبرلمان، ولازال الأمر مثاراً. من الأسئلة: هل تعرف الحكومة الألمانية أن الشيخ ابن جبرين شخصية متطرفة تحض على العنف؟ ومن الذي منحه الفيزا لدخول ألمانيا؟ وما هي طبيعة الحوار الذي دار بين وزير الداخلية الألماني والسعودي؟ وهل الشبكات المتطرفة الإرهابية في ألمانيا لها علاقة بالفكر الوهابي السعودي، وبالشيخ ابن جبرين؟، الخ.

مجلة دير شبيغل الألمانية المشهورة أعدّت في ٢٠٠٩/٦/٥م تقريراً مطولاً حول تداعيات القضية، كتبه ثلاثة من محرريها وهم: ياسين مشربش وماتياس كيباور وبيرنهارد زاند، ونشرته على موقعها الإلكتروني.

التقرير كان تحت عنوان: (حماية الشرطة الألمانية للخطيب السعودي الحاقد). وحوى في البداية نبذة عن ابن جبرين نفسه، فهو (محرض رئيسي ضد الشيعة، والخصم العنيد لهم) وأن شيعة السعودية يشكلون نحو ١٠٪ من السكان، وان لابن جبرين مكانة وهيبة وصيت في السعودية وله سلطة وأتباع كثيرون، وأكد التقرير بأن ابن جبرين من كبار فقهاء السعودية، وأنه غير محبوب في أوساط المثقفين، وان له علاقة وثيقة بالعائلة المالكة شأنه في ذلك شأن أجداده.

وأشار التقرير الى أن ابن جبرين يكنّ كرهاً للأقليات الإسلامية، الى حد إصدار فتاوى بقتلهم، ونقلت عن المتخصص في الشأن الوهابي الدكتور غايدو شتاينبيرغ، ان ابن جبرين يعتبر الشيعة والأقليات مجموعة من المرتدين الذين يستحقون القتل لانفصالهم عن الإسلام الحقيقي الذي تعتقد الوهابية انها تمثله.

ولاحظ التقرير أن أحد مفجري ١١/٩ وهو سعيد الغامدي اعتمد على ما قام به من عمل على فتاوى ابن جبرين، في حين يعتقد العراقيون بأن فتاوى الأخير لها حصة الأسد في دفع الشباب السعودي/ الوهابي للقيام بعمليات انتحارية في العراق.



الشيخ بن جبرين

في موضوع الدعوى، تساءلت المجلة هل أجبر ابن جبرين على العودة الى السعودية؟ وقالت بأن شخصية مثل ابن جبرين كان يجب أن تهتم المخابرات الألمانية بمراقبتها على الأقل أو رفع دعوى قضائية ضدها إن لم يكن إخراجها من البلاد، خاصة وأن ألمانيا ـ حسب التقرير ـ يوجد بها أتباع لابن جبرين وهم تحت المراقبة المستمرة من قبل الأجهزة الأمنية، فكيف لا يراقب ابن جبرين نفسه، واعتبر التقرير الأخير مصدر الهام لبعض اتباعه في ألمانيا، واعتبر بقاءه في مستشفيات برلين بكل ثقة وطمأنينة من المفارقات العجيبة.

التقرير لاحظ الإهتمام الرسمي بابن جبرين، رغم زعم السعودية بأن الرجل ليست له صفة رسمية، وأشارت دير شبيغل الى أن السفير السعودي في برلين قام بزيارته في المستشفى، واضافت: (أكثر من هذا، فإنه بعد قيام المهاجر العراقي برفع دعوى قضائية ضد ابن جبرين لكونه يحرض على الإرهاب، فإن ابن جبرين حصل على حماية الشرطة الألمانية).. واعتبرت مثل هذا العمل قضية سينشغل بها القضاء والحكومة الألمانية.

وتساءلت المجلة في تقريرها: كيف استطاع ابن جبرين الدخول الى ألمانيا، وهل علاقته الجيدة بالعائلة السعودية المالكة لعبت دوراً في ذلك؟

رأى التقرير بأن رفع الدعوى أدى الى طرح استفسار على الحكومة الألمانية من قبل البرلمانيين، وتوقع كتاب التقرير بأن ما جرى سيؤدي الى حدوث ضجّة داخل البرلمان، خاصة بعد رحيل ابن جبرين وإن كان محتملاً ان ذلك تم على غير رغبته.

أيضاً كشف تقرير المجلة عن طبيعة النقاش الذي دار بين وزير الداخلية السعودي ونظيره الألماني (من الحزب الديمقراطي المسيحي) فقال بأن الجانب السعودي هو الذي أثار موضوع ابن جبرين، وتساءل عن وضعه الأمني بعد وصول أخبار الى الرياض عن الدعوى المرفوعة ضده. أما جواب الوزير الألماني - حسب الوفد الرسمي الألماني - فيختلف عن ما ذكره وزير الداخلية السعودي، فقد أكد على استقلالية القضاء الألماني، وفي نفس الوقت ضمن الوزير سلامة الأمن الشخصي لابن جبرين طيلة فترة بقائه في ألمانيا.

وتساءل التقرير عمّا اذا كانت الإجابة مطمئنة للسعوديين، أم أن رحلة علاجه انتهت كما يدعي موقعه الرسمي؟ الأمر الذي أعاده الى الرياض مجدداً لاستكمال علاجه. حسب الأوساط الشيعية العراقية، فإن عودة ابن جبرين - كما يقول التقرير - هي في الحقيقة (هروب قبل أن يطاله القانون الألماني).

أما فيما يتعلق بكيفية دخول ابن جبرين الأراضي الألمانية، فيقول التقرير ان ابن جبرين دخلها بفيزا الشنغن الفرنسية، في وقت قال فيه متحدث رسمي عن القضاء الألماني بأن القضية المرفوعة ضده سيتم التعامل معها ليطاله القضاء سواء كان في ألمانيا أو خارجها. وأكد التقرير بأن القضية ستطرح في قادم الأيام على البرلمان لمناقشتها مرة أخرى وتوجيه أسئلة للحكومة بهذا الشأن، بعد أن تقدم أميد نوريبور من حزب الخضر بأسئلته والتي منها: كيف استطاع ابن جبرين الدخول الى الأراضي الألمانية؟ وهل الحكومة الألمانية أجابت طلب الحكومة السعودية فيما يتعلق بموضوع إقامة ابن جبرين؟

وحسب التقرير، فإن حصول ابن جبرين على فيزا الشنغن فرنسية، لا يعني أنه يستطيع عبور حدود دول الشنغن بدون أن يلفت انتباه السلطات اليه باعتباره شخصاً غير عادي، وتوقع التقرير بأن ابن جبرين المريض جداً والمقرب من الملك السعودي سمح له بالدخول او تم التغاضي عن ذلك، وهذا الجانب بالذات يريد عضو البرلمان إثارة السؤال بشأنه كيما يبحث إمكانية رفع قضية لمنعه من الدخول الى ألمانيا ثانية، مع انه لا يحتمل ان يرغب ابن جبرين بالمجيء مرة ثانية.


الصرامي: الزمن تغير

شيوخ الوهابية يمتنعون عن السفر خشية الملاحقة القضائية

تحت هذا العنوان نشرت جريدة (السياسي) السعودية الإلكترونية المقرّبة من الأجهزة الأمنية الرسمية، والتي يديرها أحد الصحافيين من عائلة آل الشيخ، نشرت تقريراً عن موضوع (هروب) ابن جبرين من ألمانيا وتداعياته على رجال الدين الوهابيين، يقول التقرير التالي:

أكد موقع الشيخ عبد الله بن جبرين، عضو اللجنة الدائمة للإفتاء سابقاً، أن عودة الشيخ المفاجئة من برلين إلى الرياض، لم تكن هرباً من القضية التي رفعت على الشيخ واتهمته بالتحريض على الإرهاب. وكان الجبرين أحد كبار الشيوخ الوهابيين يعاني من التهاب في الرئتين، ويقيم في ألمانيا للعلاج منذ أكثر من شهر، ولكن تم نقله لتنويمه في مستشفى التخصصي.

وعلى الرغم من نفي الموقع الرسمي للشيخ أن سبب المغادرة المفاجئة بأن تكون الدعوى القضائية التي رفعها عليه مجموعة من شيعة العراق، تتهم فيها الشيخ بن جبرين بـ (التحريض على الإرهاب وإبادة الجنس البشري) معتمدين على الفتاوى التكفيرية التي أطلقها بن جبرين في حق الشيعة ومقدساتهم. إلا أن مصادر خاصة لـ (السياسي) تكشف عن أن هذه الدعوى هي السبب الرئيسي وراء مغادرة بن جبرين السريعة لبرلين.

وتشير الأنباء أن مغادرة بن جبرين جاءت على هذا النحو السريع تلافياً لأزمة دبلوماسية قد تقع بين البلدين، فيما لو صدر قرار قضائي يمنع مغادرة بن جبرين ألمانيا لحين النظر في الاتهامات الموجهة إليه، الأمر الذي قد يمثل مأزقاً يصعب الخروج منه.

ويقول أحد المقربين من هذه القضية في حديث خاص مع (السياسي) إن مغادرة بن جبرين أتت من أجل تجنب إشكالات قد تحدث، فيما لو أصدر القضاء الألماني قراراً يقضي باحتجاز الشيخ بن جبرين، الأمر الذي لا يمكن حتى للساسة الألمان التدخل فيه أو تغييره.

وتعد هذه المرة الأولى التي يلاحَق فيها قضائياً واحد من كبار الشيوخ في السعودية بتهمة التحريض على الإرهاب، الأمر الذي يؤشر أن عددها سيتصاعد في الآونة القادمة شاملاً أسماء عدد كبير من مشايخ الوهابية والصحوة الذين أطلقوا خلال العقود الماضية عددا كبيرا من الفتاوى التكفيرية بحق طوائف دينية أو شخصيات إعلامية وثقافية.

وبحسب المسؤولين عن تصريحات لجنة (انتفاضة المهجر في أوروبا) التي تتبنى رفع هذه القضايا على امتداد أوروبا، والتي تضم عددا كبيرا من المحامين والمترجمين والناشطين في حقوق الإنسان، فإن هذه الدعوى القضائية سترفع في أي بلد أوروبي يحل فيه أحد هؤلاء الشيوخ كمريض أو كسائح، الأمر الذي سيمنع عددا كبيرا من رجال الدين هؤلاء من السفر إلى الخارج.

وبحسب الاعتماد على الفتاوى التي تكفر الشيعة وتحرض على قتالهم، فإن قائمة الشيوخ الممنوعين من السفر ستكون طويلة، وتشمل مجموعة من أبرز الأسماء في السعودية، بينهم رجال في هيئة كبار العلماء، وأئمة مساجد، مثل الشيخ الكلباني الذي كفر مؤخراً علماء الشيعة على شاشة الـ BBC، ودعاة تلفزيونين مشاهير. ومن المتوقع أن تقوم مثل هذه اللجان بنبش إرث طويل من الفتاوى التي تكفر الشيعة، الأمر (الذي سيشمل ربما كل المشائخ والدعاة الوهابيين والصحويين على مختلف أنماطهم وتفرعاتهم) بحسب ما يقول أحد المعلقين لـ(السياسي).

ويضيف: (يعتقد هؤلاء الشيوخ أن بإمكانهم أن يقولوا ما شاءوا، وبأن الدولة ستقوم بحمايتهم في كل حال. ولكن هذا غير صحيح. والدليل ما حدث لابن جبرين الذي لو صدر حكم بحقه، فستكون مسألة التدخل صعبة جدا، الأمر الذي عجل برحيله. ففتاواهم تلك تحرج الدولة السعودية، وإذا كان لهذه القضية وجه إيجابي فهي ستعلمهم بأن الأمور تغيرت، وأنهم لا يمكن أن يقوموا بتكفير أحد ويُتركوا بدون مساءلة).

ومن المتوقع أن تمنع هذه الملاحقات المتوقعة عددا كبيرا من هؤلاء الشيوخ والدعاة من السفر إلى أوروبا، قبل التأكد من سجل فتاواهم الخاصة التي لا تخلو في الغالب من فتاوى تكفيرية وتحريضية. وربما تشمل هذه الملاحقات ليس فقط من كفروا المجموعات الشيعية، بل المثقفين والكتاب الصحافيين، ومن بينهم سعوديون، صدرت في حقهم فتاوى إهدار دم صريحة من قبل هؤلاء الشيوخ.

الشيخ سلمان العودة

من المعارضة العابرة إلى السلطة

محمد قستي

الشيخ سلمان بن فهد العودة، من مواليد قرية البصر بمنطقة القصيم سنة ١٣٧٦هـ. إسم برز، شأن أسماء أخرى، إبان أزمة الخليج الثانية، بوصفه قطباً في التيار الصحوي السلفي. تميّز في بداية بزوغ نجمه بكونه ناقداً بشدّة لسياسات الحكومة السعودية في مجالات التعليم، والقضاء، والإعلام. لم يكن حتى ذلك الوقت معروفاً بنشاطات سياسية ذات طبيعة اعتراضية، شأن لدّاته من علماء المدرسة السلفية الوهابية الذين انخرطوا في النشاط الدعوي، وصنّفوا كتيّبات في الرد على تيارات وفرق إسلامية مخالفة. وكان إعجابه بالحركية الاسلامية الناشطة ممثلة في (جماعة الاخوان المسلمين)، و(حزب التحرير)، ورموز إسلامية مثل ابو الحسن الندوي، وإلى حد ما أبو الأعلى المودودي قد شكّل دافعاً لاستنساخ التجربة سلفياً، حيث بدأت نشريات شعبية تروج في الداخل لمؤلفين من تيار الصحوة السلفية، واستفاد الأخير من الدعم اللامحدود الذي قدّمه الملك فهد له كرد فعل على الثورة الإيرانية، في تحقيق أكبر انتشار كوني له.

وبفعل عوامل محلية وخارجية ثقافية وسياسية، خرقت الطبقة الثانية في التراتبية السلفية (تابو) أيديولوجي وسياسي في أزمة الخليج الثانية، حيث برز عدد من مشايخ الصحوة، من بينهم الشيخ سلمان العودة، وقادوا حملة انتقادات واسعة النطاق للحكومة السعودية وشملت من وصفوهم بـ (الحداثيين) و(العلمانيين) داخل مؤسسات الدولة، وشارك في حملة (مذكرة النصيحة) التي صدرت بعد إعلان الملك فهد عن الأنظمة الثلاثة (الأساسي، والشورى، والمناطق) في مارس ١٩٩٢.

أنهى العودة دراسته في العلوم الشرعية بشرح باب الطهارة في كتاب (بلوغ المرام من أدلة الأحكام) لإبن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، وقدّمه في أربع مجلدات لنيل درجة الدكتوراه من كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم التابعة لجامعة الإمام. ثم عمل محاضراً في الكلية، ومدرساً في المعهد العلمي في بريدة. وصدر قرار من وزارة الداخلية بإعفائه من عمله في ربيع الثاني سنة ١٤١٤هـ ومنع من مزاولة نشاطه الدعوي، وإمامة الجماعة في مسجد الراجحي ببريدة بعد انخراطه في النشاط السياسي الاحتجاجي، ثم أدخل السجن على إثره وبقي فيه مدة خمس سنوات في الفترة ما بين ١٤١٥ـ١٤٢٠هـ.

تجربة السجن بالنسبة للشيخ العودة كانت نقطة حاسمة، حيث خاض مناقشات ثقافية مع زملاء له أدّت إلى تخفيف حدّة طرحه الفكري وبدأ يميل للإنفتاح على المدارس الفكرية الأخرى، بما فيها المدارس العلمانية والليبرالية التي كان يوصمها سابقاً بالكفر والبدعة. فخرج من السجن معتدلاً، ولكن اعتداله السياسي كان أشد وضوحاً من تسامحه الفكري، حيث أخذ عليه بعض من قرأ له أنه شديد الإضطراب في مواقفه الفكرية، بسبب إصراره على استرضاء طائفتين متقابلتين وهم التيار السلفي المحافظ، والإسلاميين المتنورين من ذوي الميول الليبرالية. ومالبث يميل إلى الخيار السلطوي، الذي زاد في اضطراب خطابه الفكري، ما جعله متصالحاً مع اللحظة التي يعيشها، والتي ينتج فيها ما يتناسب من أفكار، قد تتغير في لحظات أخرى.

حظي العودة بامتيازات لم تكن متوافرة له في التسعينيات، فقد أصبحت الأبواب مشرعة له في تحقيق ذاته الإعلامية والإجتماعية، وصار يشارك، بحماسة غير مسبوقة، في المؤتمرات المحلية والخارجية، كما تحوّل إلى أحد الوجوه الدينية الأبرز في الإعلام السعودي. وإضافة إلى إشرافه على موقع خاص به على شبكة الإنترنت (الاسلام اليوم)، أصبحت له برامج تلفزيونية في قنوات فضائية مصنّفة في المجتمع السلفي بكونها فاسدة أخلاقياً مثل إم بي سي، ولكن للعودة رؤية مختلفة تقوم على اعتبار أن هذه القنوات تمثّل فرصة لتحقيق اختراق ديني، وقد تحدّث في وقت ما عن أن انفتاحه على مثل هذه القنوات جعلته قادراً على التعرّف على مسائل مجهولة بالنسبة له سابقاً، وجوانب في المجتمع لم تكن مدركة في مشروعه الفكري.

وفيما كانت كتابات العودة في فترة التسعينيات قد شكّلت مرجعية أيديولوجية لجماعات متشدّدة ظهرت في فترة لاحقة وكان من بينها تيار القاعدة، فإن العودة قد تخلى، لأمد غير معلوم، عن أفكاره المتشدّدة السابقة، دون أن يعلن صراحة بأنها لم تعد صالحة، بالرغم من مشاركته الفاعلة في (لجنة المناصحة) التي تم تأسيسها من قبل وزارة الداخلية خصيصاً لإقناع عناصر القاعدة في المعتقلات السعودية بعدم شرعية الخروج على النظام. نشير إلى أن (الخروج على النظام) من الأفكار التي تشرّبها هؤلاء من الشيخ العودة. يضاف إلى ذلك، أن الخسائر البشرية التي تكبّدها العراقيون من جراء الانتحاريين السعوديين وتزايد الانتقادات العراقية والدولية ضد التطرف السلفي بلونه العنفي قد دفع بالشيخ العودة إلى دعوة العناصر السلفية بعدم الهجرة الى العراق باعتبار أن لا مصلحة مرجوّة من ورائها. مع التذكير بأن الشيخ العودة شارك في التوقيع على بيان صدر سنة ٢٠٠٤ أي بعد سقوط النظام البعثي في العراق، والذي تضمّن دعوة صريحة بالجهاد، قبل أن يعدّل موقفه لاحقاً بحيث اقتصر ممارسة الجهاد على العراقيين.



هناك من يرى في تحوّل العودة الى الاعتدال بأنه غير حقيقي، أخذاً بنظر الاعتبار التقلّب المتكرّر في خطابه إزاء موضوعات دينية وسياسية ذات طبيعة خلافية، ما جعل البعض يتحفظ عن استعمال وصف (الاعتدال)، ما لم يكن المقصود به الموقف المعتدل من الحكومة. صحيح أن العودة قد خرج إلى حد ما عن الوهابية التقليدية التي تدعو الى التمسّك الحرفي بالجذور النقيّة للمذهب، إلا أنه، في الوقت نفسه، لم يكن مستعداً، على المستوى الفكري، لأن يعيد النظر في مواقفه العقدية من جماعات مصنّفة سلفياً في خانة الفرق الضالة والمبتدعة مثل الصوفية والشيعة والاسماعيلية.

المواقف الجديدة لدى الشيخ العودة من موضوعات إجتماعية مثل إحتفالات عيد الميلاد للأطفال وغيرها لم تصل إلى حد اعتبارها انقلاباً فكرياً، كما ذهب البعض. بل قد نجد مرونة العودة مصمّمة لاسترضاء السلطة كوصفه تعيين أول إمرأة في منصب نائب وزير التعليم، بأنه (قرار حكيم)، أو حتى موقفه المتسامح إزاء قيادة المرأة للسيارة واعتباره شأناً عرفياً أكثر من كونه حكماً دينياً، وكذلك موقفه من الزواج من القاصرات، أو سماحه لأحد لاعبي كرة القدم المحليين بتقديم دعاية لشفرة الحلاقة، باعتبار أن حلق الحلية حرام. ولكنه في المقابل، ينفرد بمواقف مثيرة للجدل كدعوته لنصب كاميرات في الأسواق العامة لمراقبة المخالفات الشرعية والاخلاقية، حسب ما جاء في جريدة المدينة في ٧ مايو الماضي، الأمر الذي أثار انتقادات واسعة في المجتمع باعتبار أن هذا التدبير يمثّل انتهاكاً للخصوصية، بحسب الكاتبة أسماء محمد ، وخرقاً لحقوق الإنسان بحسب عبد الله أبو السمح في صحيفة (عكاظ) في ٨ يونيو.

في المستوى السياسي، بدا العودة جريئاً بصورة لافتة خصوصاً فيما يرتبط بالجماعات القاعدية، كونه يواجه انتقادات بتزويدها بأفكار تشجّع على العنف. وفي رد فعل على اعتباره (مرشداً روحياً) لزعيم تنظيم القاعدة، قام العودة بتوجيه رسالة للأخير في سبتمبر ٢٠٠٧، أي في الذكرى السنوية السابقة لهجمات الحادي عشر من سبتمبر، نصحه فيه بوقف استعمال العنف بإسم الإسلام، مستحضراً لهجة دينية تحذيرية من مغبة وقوع الأبرياء قتلى. وتجاوز انتقادات العودة إلى ما هو أبعد من ذلك، حيث بدا معارضاً لذهاب الشباب الى فلسطين لمقاومة الاحتلال الاسرائيلي أيضاً.

في مقابلة مع قناة (العربية) في برنامج (إضاءات) بتاريخ ٢٩ سبتمبر ٢٠٠٤، حاول الشيخ العودة أن يقدّم رؤية لتحوّله الفكري/السياسي، وأجاب عن سؤال عما إذا كان تحوّله حقيقياً، وظهر موارباً إلى حد ما بقوله (هذا الوضع ـ أي الوضع الذي يعيشه الآن ـ هو الذي يحقق الأهداف فيجب أن نحافظ عليه)، ويعلل ذلك (من طبيعة الإنسان أن يكبر، وأن تزداد معلوماته ومعرفته ورؤيته إتساعاً). ولذلك كان مشروعاً السؤال عما إذا كان تغيّر العودة إستراتيجياً أم ظرفياً؟ رجع العودة إلى الخمس سنوات التي قضاها في السجن، ولكنه دافع عما أسماه بـ (الإنكار العلني) في التسعينيات، الذي بات البعض يستعمله، وحتى الإعلام الذي كان ينتقده على خيار المواجهة صار هو الآخر يردده (الإعلام الرسمي أصبح يقول الكلام الذي بسببه دخلنا السجن، ربما الكل أو الكثيرون شاهدوا مثلاً بعض المسلسلات اللّي تُعرض في التلفزيون السعودي وبعض القنوات الأخرى، وتُقدم جرعات من النقد مثلاً نقد الأجهزة الأمنية نقد الأجهزة الاجتماعية إلى غيرها..).

رغم ذلك، فما يلحظ على منهج الشيخ العودة، أنه أخفى بعض الأفكار المدوّنة في كتيبات ومحاضرات نشرها في التسعينيات، باعتبارها ظهرت في ظروف مختلفة. لم تكن إذاً مراجعة فكرية لتجربته السابقة، بل إخفاء لما يمكن أن يشكّل عائقاً أمام حركته الراهنة، ودفعاً لعدم الإنسجام الفكري بين معتنقات الأمس واليوم، وأيضاً في الغد، فالأفكار، كما الأوراق، تطوى وتحفظ في مستودع التجربة، فقد يستدعي الرجوع إليها في وقت ما.

كيما يتجاوز تحفظات العلماء على موضوعات محددة مثل الجهاد والوطن، فإن الشيخ العودة يبتكر تفسيرات غير واردة لا في كتب الفقهاء ولا

الانفتاح كما يقدّمه العودة في هيئة مواكبة مفتعلة لتطوّر العصر، عبارة عن حفنة أفكار معصرنة، وكأنه يعي إنتاج الماضي بلغة جديدة

في المعاجم السياسية، فمثلاً يرى في الوطن مكافئاً للإنسان، بطريقة اختزالية، بما يستبعد مكوّنات أخرى تعارف عليها علماء السياسة والقوميات. ولكنه الانفتاح بشكل مختلف كما يقدّمه العودة في هيئة مواكبة مفتعلة لتطوّر العصر، الذي يعبره العودة بكمية أفكار غير عصرية، ولكنها معصرنة، وكأنه يعي إنتاج الماضي بلغة جديدة.

في مقابلة ثانية مع برنامج (إضاءات) على قناة (العربية) في ٧ ديسمبر ٢٠٠٥، أعاد تبرير انفتاحه على الفضائيات المصنّفة سلفياً بالمنحلّة مثل إم بي سي، وقال عن برنامجه (حجر الزاوية) الذي كان يبثّ في شهر رمضان بأنه عرّفه على جمهور واسع وبالعكس.

في الإطلالة الثالثة للشيخ العودة في برنامج (إضاءات) على قناة (العربية) في ٢٩ مايو الماضي، بدت جوانب أخرى تبرز في أدائه السياسي، وبات أميل إلى الشيخ السلطوي، خصوصاً بعد مقاله (الاسلام والحركات) الذي نشره في ١١ إبريل الماضي، والذي أثار ردود فعل احتجاجية من قبل الاسلاميين وغيرهم، وخصوصاً أنصار التيار الاسلامي في تونس.

قدّم العودة انطباعات عن زيارته لتونس تتناقض تماماً مع وقائع طالما قدّمها الإسلاميون التونسيون لنحو ثلاث عقود، خصوصاً فيما يتعلق بنزعة العلمنة المتطرّفة لدى النظام التونسي، وتدابيره الصارمة إزاء الحجاب والمظاهر الدينية بصورة عامة. وتحفّظ العودة على ما قرأه عن الإسلام المضطهد في تونس وقال بأن ماشاهده مختلفاً تماماً عما سمع عنه غير مرة (أنه يضطهد الحجاب، ويحاكم صورياً، ويسجن ويقتل..)، يعلّق على ذلك بالقول (فالحجاب شائع جداً دون اعتراض، ومظاهر التديّن قائمة، والمساجد تزدحم بروّادها من أهل البر والإيمان، وزرت إذاعة مخصصة للقرآن؛ تُسمع المؤمنين آيات الكتاب المنزل بأصوات عذبة نديّة، ولقيت بعض أولئك القرّاء الصُلحاء؛ بل وسمعت لغة الخطاب السياسي؛ فرأيتها تتكئ الآن على أبعاد عروبية وإسلامية، وهي في الوقت ذاته ترفض العنف والتطرف والغلو، وهذا معنى صحيح، ومبدأ مشترك لا نختلف عليه). واعتبر ما كان يسمعه وما يقال عن الوضع الديني في تونس مجرد شائعات، والتي شقّت بالنسبة له درباً للتمييز بين الإسلام والحركات الإسلامية. ولذلك فهو يتطلع لأن يتكرّس الاسلام للفرد دون الحركات الاسلامية، أي الاشتغال على تنمية الفرد وسلوكه وعقله وليس الصراع على الكراسي والمناصب، على أساس أن هذا الجانب مركز اشتغال الحركات الاسلامية!

ورد خالد حسن على مقالة العودة في ١٤ إبريل الماضي، وتساءل هل صنع العودة وهمه في زيارته لتونس سمع عنه أن يضهد الحجاب، ثم اكتشف عكس ذلك، ويريد أن يصدقه الآخرون، أم أنه ضحية سلطة معينة..ضحية الابتسار والسطحية والاختزال في الرؤية..إختزال ما هو واسع ومركّب ومعقد، وتسطيح ما هو عميق.. أحل الأمنية والحلم محل الواقع..رسم صورة زاهية عن وضع مختل، موارباً تناقضاته ونقاط ضعفه ومشكلاته التاريخية، ووضع تصوراً ذهنياً يغير مجرى التاريخ. إذ الواقع التاريخي يقول كلمة مغايرة ومختلفة عمّا كتبه الشيخ بعد زيارته إلى هذا البلد العربي الذي سمع أنه يضطهد الحجاب، وتبين له خلاف ذلك. هل وقع الشيخ سلمان ضحية قراءات مبتسرة، ذات شحنة سحرية تحقن القارئ بالهدوء، وتوهمه أنها تعطيه الأجوبة كلها دفعة واحدة؟ لا أعلم، وهذا النمط من الثقافة والتثقيف مسؤول، في ظني، عن جفاف الإبداع الفكري لمدة طويلة عندنا. وبخصوص الحريات كتب خالد حسن في رده على العودة (والشيخ يدرك، سواء في بلده أو في سائر الأمصار، أنه في أجواء الحريات، لا مكان للمكبوتين والتنظيمات السرية، ولا مجال للعمل

تحت الأرض ولا لانتعاش الأفكار السرية الميتة المميتة، ورفع المظالم يشيع حالة من الأمن النفسي والفكري، وهذا مطلب مشروع تستقيم به حياة الناس.)

ربما أغرى العودة ما لحظه من تسامح رسمي إزاء كتبه التي وجدها في المكتبات العامة في تونس، كيما يطلق مواقف جدلية مثيرة. رسالة المقالة كما يقول العودة تتمثل في (دعوة إلى الانفتاح بين البلاد العربية والإسلامية..).

مقالة العودة فجّرت جدلاً واسعاً بين الاسلاميين في تونس، فكتب عبد السلام الناجي رداً بعنوان (سلمان العودة..في حفلة العشاء الأخير) وصف فيه مقاله (الاسلام والحركات) بأنه (أشبه بمانفيستو سياسي في مسيرة الدكتور سلمان السياسية، ولكنه مانفيستو بالمقلوب طبعاً). ويقول (بكل صراحة ووضوح يعلن الدكتور العودة إنتقاله من أن يكون (صوت المعارضة) إلى أن يكون (صوت النظام)، وأن العودة في مقالته يعلن بصورة نهائية طلاقه (الإنتساب للإسلاميين، ووضع الذات بشكل واضح ضمن منظومة النظم الرسمية). ويخلص الناجي من قراءته لمقالة العودة بأنه يتحدث (عن الحكومات العربية المعاصرة وأنها حكومات مظلومة شوهها الإسلاميون بينما هي في حقيقتها نظم عربية إسلامية متدينة، ويغمز من قناة الحركات الدعوية والإصلاحية بأنهم طلاب سلطة يفترون على هذه النظم المظلومة). وفي مثال تونس، يحتجّ الناجي على العودة دفاعه عن أسوأ نظام عربي، أي النظام التونسي (لم يترك الدكتور العودة لنا مهمة القياس والإستنتاج..بل صرّح بتعميم النتيجة على كافة الحكومات العربية، وأن كافة الحكومات العربية هي نظم متدينة حريصة على الإسلام، لكن المشكلة أن الدعاة الإسلاميين في هذه البلدان طلاب سلطة يثيرون القلاقل ويعكرون على مسار الدعوة والخير). وسرد الناجي بعض الوقائع التي تمثّل إدانات صريحة للنظام التونسي في مجال الاضطهاد الديني منها قانون ١٠٨ الصادر ١٩٨١ والذي اعتبر الحجاب (زي طائفي) وتم منعه في المؤسسات الرسمية كالجامعات والمعاهد، وقد وصف الشيخ يوسف القرضاوي في خطبة يوم الجمعة في ١٢ شوال ١٤٢٧هـ (الحرب التي يشعلها النظام التونسي ليست ضد الحجاب فقط، وإنما ضد الله ورسوله). وذكر الناجي الشيخ العودة بمعتقلات النظام التونسي مثل سجن تونس، وسجن برج الرومي، وسجن المهدية، (فحدث عن الشهادات التي كتبها السجناء في التضييق عليهم في الصلوات اليومية، وخصوصاً صلاة الجماعة، وتحديد مرات الاغتسال حتى لو كان الغسل لعذر شرعي، فيبقى الشاب المسكين على جنابة أياماً معدودة! وقدمت منظمات حقوق الإنسان العالمية مئات التقارير التي شرحت أزمة (التعذيب) في السجون التونسية. أما الشريعة فصارت مخطوطة في الزيتونة لا أكثر.. فالقانون المدني ألغى أحكام الربا والغرر، وقانون العقوبات ألغى أحكام الزنا والقصاص والجلد، وتم التدخل في كثير من أحكام المواريث الخ). وسخر الناجي من اختزالية العودة وقال بأنه (زار تونس لمدة يومين في زيارة مرتبة سلفاً بين الفنادق الفارهة والشخصيات الدبلوماسية الرفيعة، وجاء ينتقد نزلاء المعتقلات والمؤرخين والشهود التونسيين ذاتهم بكونهم يعتمدون صورة جزئية لتكوين صورة كلية!).

أما الشيخ الهادي بريك، فسجّل في ردّه على العودة بعض الحقائق الموثّقة بقوانين يخالف فيها النظام التونسي الشريعة الاسلامية بصورة صريحة منها ما جاء في منشور عدد ٩٨ بتاريخ ٣٠ اكتوبر ١٩٩٢ حول هندام أعوان الصحة العمومية بإمضاء وزير الصحة الحبيب مبارك، والذي جاء فيه:

وبَعْدُ لُوحِظَ أَنَّ عَدَداً مِنَ الأَعْـوَانِ العَامِلينَ بِالهَيَاكِلِ وَالمُؤَسَّسَاتِ الرَّاجِعَة بِالنَّظَرِ إلى وِزَارَةِ الصَّحَّةِ العُمُومِيَّة يُبَاشِرُونَ عَمَلَهُمْ مُلْتَحِينَ أَوْ حَامِلِينَ لأَزْيَـاءٍ طَائفِيَّةٍ وَذَلِكَ خِلافاً لمُقْتَضَيَاتِ المَنَاشِيرِ الـوَارِدَة بِـالمَرْجِعِ وَالمتَعَلِّقَة بهِنْدَامِ الأَعْـوَانِ العُمُومِيِّينَ بِصِفَةٍ عَامَّةٍ وَأَعْـوَانِ الصَّحَّةِ عَلَى وَجْـهِ الخُصُوصِ. لِذَا وَنَظَراً لمَـا يَكْتَسِبُهُ المَوْضُوعُ مِنْ أَهمِيَّةٍ فَإِنِّي أَدْعُو كَافَّةَ المَسْئُولِينَ عَنِ الهَيَاكِلِ وَالمُؤَسَّسَاتِ الرَّاجِعَة بِالنَّظَرِ إلى وِزَارَةِ الصحَّةِ العُمُومِيَّة إلى العَمَل عَلَى حمْلِ مَنْظُوريهِمْ مِنَ الأَعْـوَانِ عَلَى الالْـتِـزَامِ بِالمُقْتَضَيَاتِ الـوَارِدَةِ بالمَنَاشِيرِ المَذْكُورَة. وَإِلى اتخَاذِ مَا يَتَعَيَّنُ مِنَ الإِجْـرَاءَاتِ لمَنْعِ دُخُولِ المُؤَسَّسَاتِ الصِّحيَّةِ عَلَى المُلْتَحِينَ وَحَامِلِي الأَزْيَاءِ الطَّائفِيَّةِ. الموجه إليهم: الإدارات والمصالح المركزية، الإدارات الجهوية، مصالح التفقد، المؤسسات الراجعة بالنظر إلى وزارة الصحة العمومية.

خرج العودة من السجن سلطوياً، باضطراب فكري شديد لاسترضاء طائفتين متقابلتين: المحافظة والتنويرية، ما جعله متصالحاً مع اللحظة التي يعيشها

ورصد الشيخ بريك بعض الانتهاكات لحقوق الإنسان في تونس بخصوص الحرية الفردية والحريات العامة والسياسية والدينية، بما فيها منع الصلاة بالقانون في أماكن العمل بحسب القانون المعروف بقانون ٢٩ الصادر في ٣ مايو ١٩٨٨ والذي ينص على اغلاق كافة المصليات والمساجد الصغيرة في المعاهد الثانوية والكليات والادارات والمؤسسات الخاصة والعمومية في القطر التونسي، وإغلاق المسجد الجامع الكائن بالمركب الجامعي بتونس العاصمة. وسرد بريك قصصاً عن معاناة الناشطين السياسيين في تونس، وخطة تجفيف منابع التدين خير شاهد على ذلك.

أما سيف الدين عابد فجاء رده على العودة في الأول من مايو الماضي في هيئة سؤال (لماذا قلت هذا عن تونس يا شيخ سلمان؟) وذكر العودة بحقائق على النحو التالي: أيها الشيخ سلمان العودة، لقد زرت بلداً يعلم القاصي والداني ممن يهتم بأمر الإسلام والمسلمين أنه بلد ضاعت فيه الحقوق ولم تسلم فيه أعراض المسلمين، ولم تراعى فيه ذممهم، ولا تُصان فيه شريعة الله، فهي منتهكة جهاراً نهاراً، لا يخفون تعديهم على الله ودين الله وعباد الله، لقد زرت بلدا أيها الشيخ ضُربت فيه الأعناق، وامتُهنت فيه الحرائر من المسلمات، واعتدي فيه على كلّ مظهر من مظاهر القرب من الله (بمنهجية ممنهجة) وبقوانين لا يخفى فيها العداء لله ولدين الله ومحاربته!! وسأله (ألم تسمع أيها الشيخ بمحاربة ومطاردة المحجبات العفيفات ومنعهن من الدخول إلى حرم الجامعات والمعاهد والمدارس إلا بعد أن يبدين الطاعة (لولي الأمر) فيتكشّفن ويبدين ما حرّم الله أن يبدين؟ ألم يعطوك أيها الشيخ (بطاقة المصلّي) ويحددوا لك المسجد الذي تعبد الله فيه وتمنع من غيره أم أنهم رأوا أن ذلك لا ينطبق عليك كما ينطبق على كلّ أهل تونس من المسلمين؟! ألم يقل لك أحد من البشر أن العُهر في تونس مقنّن تقنين رعاية لا تقنين منع وتجريم؟ وفوق ذلك وقبله وبعده، هل أوصلك علمك وعظيم اطّلاعك على شرع الله أن زين العابدين حاكم مسلم واجب الطاعة؟! أم أنه علماني لا يقيم وزنا لله ولا لدين الله، ويحاربه محاربة قذرة في كل سكناته وحركاته، وفي كلّ قوانينه وأنظمته؟ أم أنك لا ترى من يقرّ بالربا أنه قد آذن بحرب من الله؟ ثم خاطبه بالقول: أيها الشيخ سلمان العودة: لقد قلت كلاما ناقض وعاكس كلّ ما هو عليه حال تونس وحكّام تونس والسؤال: لماذا قلته؟ رهبة؟ أم طمعا؟ أم خوفا؟ إن لم تكن تعلم ما تقول أيها الشيخ فاعلم أنك بما قلته عن تونس في مقالك هو تسويغ للحكم فيها

وتلميع للحاكم ونظامه، وتجميل لوجه بشع بشاعة من جاهر بمحاربة الله ورسوله والمؤمنين وإعطاء كل المسوغات لذاك النظام أن يوغل في محاربته للمسلمين ولشريعة الله، ذلك أنه سيعتمد الآن على قولك وقول من هم مثلك حين مدحتموه).

لا يبدو أن الشيخ العودة قرأ كثيراً من الردود، رغم أنه سمع عنها، وبدا وكأنه يتعامل مع أفكار مجرّدة، وليس مع تجارب مصبوغة بالدم، ومليئة بألوان الألم والقهر والعذاب. لقد أظهر العودة تعالياً على ما سمع، وكأن مشاهداته الموجّهة لتونس غلبت ما شهده هذا البلد من انتهاكات أقل ما فيها أن يذبح بإسم السماء خلق الله على الأرض، ويستعمل المقدّس في تدنيس الوعي.

دسائس الميثولوجيا في العقيدة السلفية

توفيق العباد

إشتملت رسائل مؤسس المذهب الوهابي على انتقادات شديدة ضد الخرافات الشائعة في مجتمع نجد. ففي رصده لمسائل الجاهلية السائدة في مجتمعه، جاء من بينها الاعتقاد (في المخاريق والسحرة)، و(اعتياضهم عما أتاهم من الله بكتب السحر..) (أنظر: ١٢٨ مسألة من مسائل الجاهلية للشيخ محمد بن عبد الوهاب)، وقد فسّر الجبت بالسحر، وأن الطاغوت قد ينطبق على الجن والإنس (أنظر: د. أحمد بن عبد الكريم نجيب، فصل الخطاب في بيان عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب).

ما يثير الدهشة أن النزعة الميثولوجية في الكتابات العقدية السلفية القديمة والجديدة تبدو شديدة بصورة لافتة. بل إن ما يدعو للغرابة أن التحوّلات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي شهدها المجتمع لم تخفف من سطوة العقل الميثولوجي في الحراك الفكري السلفي. فمالذي يجعل انكباب المدرسة السلفية في العقدين الأخيرين، وبوتيرة تصاعدية، على موضوعات ذات طبيعة غيبوية مثل (الجن)، و(تفسير الأحلام) (السحر والشعوذة)، و(الربط)، و(العمل) وأساليب العلاج التقليدية مثل (الرقية الشرعية)، أو التعويذة (والحبة السوداء)، و(كتابة أذكار مخصوصة)، و(النفخ)، و(إبطال السحر بالرموز والحروف)، و(الاستعانة بالجن)، واللجوء إلى الشيخ.. ظاهرة بالرغم من جذورها الموغلة في قديم وجديد المجتمعات الشرقية عموماً، إلا أن إنفجارها بشكل غير مسبوق في هيئة مراكز متخصّصة، وهيئات دينية، ونشريات، ومؤسسات تجارية متخصّصة في التداوي بالأعشاب والعقاقير الشعبية، أو حتى بعض المواد الغذائية مثل العسل، وزيت الزيتون، والحبة السوداء (أو حبّة البركة) بحسب الثقافة الشعبية يجعل مناقشتها ذا أهمية خاصة. لاشك أن الثراء الاتصالي ساهم بدرجة فاعلة في رواج مثل تلك الموضوعات، حيث باتت هناك وفرة هائلة لوسائل البث ما يجعل التداول الجماهيري بالغ السهولة.

فلا تكاد تخلو المواقع السلفية على شبكة الإنترنت من إيقونة خاصة بـ (الرقية الشرعية) رداً على الرقية غير الشرعية والسحرة، إلى جانب أشرطة رقية شرعية لكبار المشايخ تباع في محلات أشرطة خاصة بالتسجيلات الإسلامية، وهناك رقية شرعية تتلى على المرضى عن طريق أجهزة الهاتف.

فقد تحوّل الفضاء الاتصالي إلى ساحة حرب بين الشرعي واللاشرعي من وجهة ميثولوجية سلفية محض، وقد نشر فرع (الهيئة) في المدينة المنور على موقعه على شبكة الإنترنت خبراً حول (ساحر الكتروني) في المدينة المنورة كان يتلقى عبر موقعه على الإنترنت طلبات وتحال له النقود مسبقاً عبر خدمة الحوالات البنكية ثم يقوم بإرسال العمل السحري لصاحبه. وهناك عدد من القنوات الفضائية التي ظهرت في السنوات الأخيرة تمارس السحر والشعوذة عن طريق الخطوط الساخنة المفتوحة أمام المشاهدين حيث تجري عمليات التشخيص وتقديم العلاجات بصورة مباشرة.

كما تحوّل الفضاء الاتصالي إلى مجال استعراضي يقدّم فيه الميثولوجي السلفي أقصى ما يمكنه لتجنيد الاتباع والاحتفاظ بهم ضمن دائرة تأثير مغلقة. لذلك، لا غرابة في أن يخوض الذراع الضارب للسلفية، ممثلاً في (هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) معارك ضارية مع خصوم يتقمّصون أدواراً منافسة. في برنامج عرض في ١٤ ديسمبر ٢٠٠٨ على الهواء مباشرة على قناة (الراية) للشيخ يوسف الدوس، إتصلت فتاة في العشرين من عمرها تسمي نفسها أم عمر وقالت إنها مسحورة، وأن أهلها منعوها من الذهاب لشيخ يقرأ عليها خوفاً من الفضيحه، فقام الشيخ بالقراءة عليها وقامت الفتاه تبكي، ثم تداخلت الأصوات، وقيل حينذاك أن الجني الذي يسكن فيها بدأ ينطق على لسانها، وراح يصرخ (لا .. لا)، ثم كان حوار على وشك أن ينعقد بين الشيخ والجني إلا أن الاتصال انقطع فجأة، وبرر الشيخ ذلك بأنه كان يخشى من أن يتفوه الجني بكلام غير لائق. وقد تكرّرت هذه القصص سواء على (الهواء مباشرة) أم من خلال وسائل البث والاتصال الأخرى، والتي تنسب الى رجال دين معروفين.

وقد نقل الشيخ الدكتور محمد العريفي في برنامج بثّ على الهواء مباشرة وعبر القناة الأولى في التلفزيون السعودي قصة بأن أحد القرّاء قرأ على شخص مصروع فطلب من الجني أن يخرج منه ويدخل في الشيخ بن باز، فقال له لا أقدر عليه، ثم قال له طيب الشيخ ابن جبرين قال لا أقدر عليه، وسأل: هل هناك أشخاص غيرهما؟ والتسجيل مثبّت على موقع (يوتيوب) بعنوان (ابن باز وابن جبرين والجني).

والسؤال: متى أخذت النزعة الميثولوجية السلفية هذه الوتيرة التصعيدية غير المسبوقة؟

يمكن اقتراح تورخة لانفجار خرافي سلفي بدأ متزامناً مع اندلا ع ظاهرة الصحوة الدينية في المجتمع السلفي في مطلع الثمانينات من القرن الماضي، والذي مهّد أرضية خصبة لانتشار واسع النطاق لكل (مستلزمات) العمل الخرافي، من رموز، وأشخاص، وأذكار مصفوفة بعناية في كتيّبات صغيرة الحجم، وفصوص حجرية، وسبحات، وقصاصات ورقية خاصة بالتعويذات، حتى باتت طاولات العرض في المساجد، ومراكز الدعوة، وكذلك نشاطات بعض الأجهزة الدينية تحتّل مساحة كبيرة من الحراك السلفي في بعديه الاجتماعي والثقافي.

قبل انفجار الصحوة السلفية في منتصف الثمانينات من القرن الماضي، كانت موضوعات (الجن)، و(تفسير الاحلام)، و(السحر) شأناً دنيوياً، وكان الاعتقاد بأن أحكاماً دينية قد حسمت النقاش فيها، ولكنها ما لبثت أن حظيت بدفعة اهتمام واسع. كان بعض من يعتقد في قدرة المشتغلين عليها يلوذ بهم دون سواهم، ولكن تبدّل الأمر قبل أكثر من عقدين حيث دخل رجال الدين من المدرسة السلفية على خط المنافسة، متسلّحين بعتاد ديني. ويمكن للمرء أن يلحظ انبعاثاً غير مسبوق لتراث غيبوي غمر المجتمع السلفي وتمدّد إلى ساحات أخرى، بل جنّد بعض رجال الدين جهوداً كبيرة من أجل تعميم أحاديث، وروايات تاريخية، وفتاوى دينية تتصّل بتلك الموضوعات، فيما يشبه عملية سحب البساط من تحت أقدام الممارسين التقليديين في حقول الجن، والسحر، وتفسير الأحلام (وقد لجأ بعضهم إلى توظيف العتاد الديني

نفسه للحفاظ على مصادر دخل ثابتة).

أول ما يشهره المشتغلون على موضوعات الجن، وتفسير الأحلام، والسحر من أدلة هو آيات قرآنية وردت في سورة يوسف، والجن، وعدد من السور القرآنية التي ارتبطت بظروف استثنائية، إضافة إلى مجموعة أحاديث وردت في كتابي (البخاري) و(مسلم) حول الرؤية، والجن، والسحر، وكذلك مصنّفات علماء في المدرسة السلفية أعيد إنتاجها وتفسيرها كيما تكون صالحة الاستعمال في الوقت الراهن. ولكن ما يلفت بوضوح أن الموضوعات المخفّضة دينياً فيما مضى جرى تصعيدها منذ منتصف الثمانينات، وباتت من حيث الأهمية الدينية منافساً لعلوم تقليدية حظيت بإجماع المسلمين كافة، كتعلّم الفقه الشرعي، والتوحيد، وعلم الحديث. يقول أحد مفسّري الأحلام بأن تفسير الأحلام من أشرف العلوم قبل بعثة الأنبياء، وأن تفسير الأحلام أصبح علماً من علوم الشريعة، وصنعة وفناً، وأخيراً تحوّلت الموضوعات تلك إلى قنوات فضائية وأكاديميات (أنظر نص برنامج إضاءات مع مفسرّ الأحلام د. يوسف الحارثي بتاريخ ٣ مايو ٢٠٠٩).

والسؤال هنا: لماذا انتقلت قصص الجن، وسكون الأرواح في البيوت والأبدان، ودور الأحلام في تقرير مصير الإنسان، من القرية الى المدينة، ومن الأحياء الفقيرة والفئات غير المتعلمّة إلى الأحياء الثرية والفئات الحديثة، بل لماذا تتحول تلك الموضوعات شأناً سلفياً متعالياً، بحيث بات الإشتغال على مقتنيات متعلّقة بطرد الأرواح، وتفكيك العمل، وإبطال السحر، جزءً أساسياً من ثقافة المجتمع الديني، والسلفي على وجه الخصوص، دون نفي ذلك عن مجتمعات أخرى شرقية، ولكن بنسب أقل. ما يميّز الطابع الخرافي للثقافة الشعبية في المجتمع السلفي أنه يستند على منظومة واسعة من المراكز الدينية والإجتماعية، والمطبوعات الدينية (أذكار وأدعية وبعض السور القرآنية، ورموز مشفّرة)، ومقتنيات غذائية يملك امتياز توفيرها بعض المشايخ أو مؤسسات مرتبطة بجهات دينية، أو حتى بعض الأقمشة التي يتم شراؤها خصيصاً لدفع الشرور، وكل ذلك بحسب معتقدات المجتمع السلفي.

تختزن المصادر السلفية القديمة والحديثة صوراً متنوّعة عن حالات كان يلعب فيها (الغيبوي) دور البطولة، سواءً كان هذا الغيب مخلوقاً خفيّاً (الجن) أو حلماً أو رؤية أو عملاً خارقاً يقترب من السحر، وبالنسبة لبعض آخر يتحوّل (الغيبوي) إلى عنصر تشويق ولكن بطابع ديني، وهناك من يوظّف دور (الغيب) في إسباغ صفة استثنائية لرجل الدين، وبلوغه رتبة الإنكشاف على العالم الخفي، وهناك قسم آخر يستعمله كوسيلة للسيطرة على أكبر قاعدة شعبية أو كتلة زبائنية كبيرة لبضائعه المادية أو المعنوية.

فما كان غائباً بصورة شبة كاملة قبل منتصف الثمانينات، بات حاضراً بضراوة بعدها، وأصبحت قصص الجن، والسحر، والأحلام والربط، والعلاجات الدينية المقترحة، شائعة بدرجة لافتة بين الناس. فبالرغم من أن محاربة قراءة الكف أو الفنجان أو أعمال السحر الأخرى تمثل إحدى الوظائف الاحتسابية لرجال (هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) منذ نشأتها غير الرسمية سنة ١٩٠٣، إلا أننا نعثر في التراث الاحتسابي لهذا الجهاز ما يشير إلى بطولات ذات طابع خرافي، بما يؤكد ما عارضه بعض العلماء أي (إبطال السحر بالسحر)، أو الدخول في مواجهات مع كائنات خفيّة مثل الجن، والأرواح الشريرة، ونشر قصص خوارق تخالف الذوق البشري وتعصى على التصديق.

نشرت صحيفة (عكاظ) في ٢٩ مايو ٢٠٠٦ خبراً مفاده أن رجال (هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، وهو الجهاز الديني المسؤول عن الحفاظ على السلوك الإخلاقي المنضبط لدى الأفراد، والدعوة للإلتزام الصارم بالفرائض العبادية، قاموا بمداهمة ما وصف بأنه أحد (أوكار السحر والشعوذة) في المدينة المنورة، وفوجئوا بوجود ساحرة أفريقية عارية تماماً، وحين حاول هؤلاء سترها بغطاء رفضت. وتضيف الصحيفة أن (المفاجأة الأكبر) تجلّت في قدرة تلك الساحرة على الطيران، حيث (طارت كعصفور) من الغرفة لتختفي تماماً من الشقة وسط (ذهول أكثر من ٢٠ شخصاً من أفراد الهيئة)، وكل ذلك بحسب رواية (الهيئة) التي نقلت عنها الصحيفة.

وتمضي الصحيفة في سرد تفاصيل تلك القصة الخرافية بالقول أن رجال الهيئة واصلوا البحث عن الساحرة في الدوائر العلوية والسفلية للعمارة المؤلفة من أربعة طوابق، حيث فوجئوا أثناء بحثهم بأحد المواطنين وهو بملابس النوم يستغيث وأطفاله من خلفه طالباً النجدة من المواطنين، بعد أن شاهد إمرأة افريقية عارية سقطت من سقف الغرفة لتستقر وسط أطفاله وهم نائمون، ما اثار ذعرهم وطفقوا يصرخون بصوت عال، وأضاف أنه عندما ذهبت لاستطلاع الوضع في الغرفة أبلغني أبنائي بما شاهدوه من منظر غريب وبعد تأكدي من الساحرة خرجنا جميعاً من الشقة هاربين.

فصول القصة تنتهي بدور بطولي لرجال الهيئة الذين لاحقوا الساحرة، ذات القدرات الخارقة، حيث وجدت في شقة المواطن المستغيث عارية، فرفعوا أصواتهم بالآذان و(آية الكرسي) ما أدى إلى شلّ حركتها، وقام أحد أعضاء الهيئة برمي قطعة قماش على جسدها لستر عورتها، وبعد ارتداء ملابسها تم إلقاء القبض عليها.

تضيف الصحيفة بأن العملية تمّت بقيادة الشيخ فهيد العريفي، رئيس مركز هيئة الحرّة الغربية. وكانت عملية المداهمة لـ (غرفة المشعوذة) قد أسفرت عن العثور على (مباخر ومسابح وطلاسم وأوراق شعوذة وغرز وأشرطة فيديو لتعليم السحر ورباط حزام لمريول طالبات الابتدائية..كما عثر على مصحف تحت مقعدها).

في تعليقه على الحادثة، قال الشيخ عبد المحسن العبيكان، عضو هيئة كبار العلماء سابقاً والمستشار الحالي في الديوان الملكي، (ذكر الفقهاء أن بعض السحرة قد يركب المكنسة ويطير في الهواء وذلك بمساعدة الجن فمثل هذه الساحرة طار بها الجن من مكانها إلى الشقة العليا لينقذوها من الهيئة..).

وبحسب الرواية الرسمية للهيئة، فإن ١٩ إمرأة أفريقية تم القبض عليهن لمخالفتهن نظام العمل وإقامتهن بصفة غير نظامي في أحد الأحياء الواقعة غربي المدينة، في سياق حملة الهيئة للحد من انتشار النساء المقيمات بصفة غير نظامي في المدينة والقضاء على ما يصدر منهن من سلوكيات غير شرعية تضر بالمجتمع. إلى هنا والأمر يبدو طبيعياً، وضمن مجال الإختصاصات التقليدية لدى رجال الهيئة، ولكن ما هو لافت أن خلال حملة القبض على مجموعة من النساء الافريقيات من قبل فرقة من (الهيئة)، فوجئت، بحسب رواية الأخيرة، أن (امرأة أفريقية كبيرة في السن تجلس بشكل غريب في غرفة شبه مظلمة، وهي عارية، والأبخرة تتصاعد حولها، وبمجرد رؤية الأعضاء لها أمرت بالتستر، وأغلق الباب عليها ليتسنى لها ارتداء ملابسها إلا أنها اختفت كلياً من الغرفة بعد بضعة دقائق مع العلم أنه لا يوجد لها أي منفذ سوى الباب، وقد كان أحد الأعضاء واقفاً بجواره، فتم البحث عنها في أرجاء المنزل خلال نصف ساعة ولم يوجد لها أي أثر، فأخذ الأعضاء يجهرون بذكر الله عز وجل وقراءة أية الكرسي، ورفع أحدهم صوته بالآذان ليطرد الجن من الموقع وليتمكنوا من ضبط هذه المرأة الساحرة، وأثناء ذلك جاء أحد ساكني الدور العلوي في العمارة مستغيثاً، ويذكر أن هناك جنياً على شكل امرأة عارية سوداء البشرة وجدت فجأة بين أبنائه وهم نائمون، وطلب تخليصهم منها، فانتقل أعضاء الهيئة بسرعة للشقة، ووجدوا المرأة نفسها مستلقية في إحدى الغرف ، فتم القبض عليها بعد أن ارتدت ملابسها، واتضح أنها تمارس السحر والشعوذة وتستعين بالجن في ذلك، ووجد في غرفتها العديد من الطلاسم والأعمال السحرية، وعدد من القواقع والصدف والذي يستخدم عادة في أعمال الكهانة والشعوذة ، ووجد لديها حزام لمريول طالبة ابتدائي وأسورة ذهب لطفلة، وأساور ذهب أخرى، ويظهر أن ذلك لغرض إعداد عمل سحري لها).

تشتمل القصة ـ الأسطورة على عناصر متعدّدة، يختلط فيها البعد الميثولوجي في شكلها الخرافي، بالبعد الديني، والثقافة الشعبية بالرموز

الاجتماعية والتقليدية، وسنجد أن تلك العناصر حاضرة بصورة كثيفة ودائمة في عالم محفوف بالسريّة، حيث تخوض الوهابية إحدى معارك الجدارة العقدية، للتعويض عن بعض ما تخسره في العالم المادي البشري. فقد بات الاحتفاظ بالأتباع داخل المجال المغناطيسي للعقيدة السلفية مشروطاً بقدرة الأخيرة على اختراق العوالم الخفيّة، كعنصّر تميّز تنفرد به دون باقي العقائد، وتستخدمه عامل إقناع في حلبّة الإستعراض الايديولوجي أمام جمهرة المؤمنين بها.

وما انفكت الأجهزة الدينية ذات الوظيفة المزدوجة (وعظ ديني، وضبط أخلاقي) تزوّد الأنصار بدفق من الأساطير بما تبطنه من رمزية عقدية، ورسائل مشفّرة موجّهة للجمهور العام. ولا غرو، والحال هذه، أن يتم تطعيم (غارات) رجال الهيئة على أوكار السحر، بجرعة عالية من الإثارة ذات طابع فانتازي فارط. في ٧ يوليو ٢٠٠٨، نشر الموقع الرسمي لـ (الهيئة) نبأ نجاح رجالها في الرياض في فك طلاسم أحد الأعمال السحرية المعقّدة. وجاء في النبأ أن شاباً تلقى إتصالاً من شخص مجهول تلفّظ بعبارات سيئة ثم أخبره بأنه دسّ عملاً سحرياً ضده في أحد الأدوية خارج الرياض. وتقول رواية (الهيئة) أن الشباب ذهب بالفعل إلى الوادي، وحفر تحت شجرة وصفها له المتصّل، ليستخرج العمل من داخل حفرة..وحين فتح الشاب (العمل) الموضوع داخل كيس صغير وجد بداخله ورقة بيضاء ملطّخة بالدماء رسمت عليها عقد دائرية ورموز، وطلاسم سحرية، وبعض الكلمات التي يتعامل بها السحرة، وربطت زاوية الورقة بخيوط على شكل عقد عديدة موصولة بخصلات شعر يرجح أن تكون لإمرأة، ثم ربط في طرف هذا الخيط مفتاح لعلبة مشروب غازي وكتب عليه إسم الشخص الذي عمل له السحر. وتختتم الرواية بالنتيجة التالية (وبإبلاغ الهيئة تمكن رجالها من إبطال هذا العمل السحري)، دون أن تبيّن الرواية نوع الآليات التي لجأت إليها في إبطال السحر. مهما يكن، فإن مجرد تحقيق الهيئة منجزاً في مجال السحر يعزّز وظيفتها العمومية ويمنحها صدقية لدى الفئات البعيدة أو المترددة.

قصص متعاقبة تتلى على أسماع الناس بين يوم وآخر عن منجزات (الهيئة) في عالم خفي لا يملك أحد وسائل خاصة للتحقّق من صدقيتها سوى التسليم الديني المطلق، بما لا يحتمل التشكيك أو حتى المسائلة. إنها القدرة على صناعة مخيال جماعي يهدف إلى تصوّر أحداث غير واقعية، بما يشبه حالة خلط الذاكرة (Confabulation) حيث يتم التعويض عن الواقعي بالوهمي، في محاولة لتعبئة الفراغ في الذاكرة الجماعية بأحداث وهمية وأحياناً غير متسلسلة.

في حادثة مثيرة، وكل غيبوي مثير حكماً، نشر موقع (الهيئة) في ٢٥ يونيو ٢٠٠٨، خبراً مفاده أنها تمكّنت من فك طلاسم سحر وجدت في حقيبة ملقاة بجوار قصر السلام الخاص بالملك عبد الله في مكة المكرمة. وبحسب الرواية المبثوثة بصورة واسعة في مواقع مقرّبة من التيار السلفي على شبكة الإنترنت، أن عمال البلدية عثروا على الحقيبة تلك وعندما اقتربوا منها لاحظوا أنها تتحرك، فقاموا بفتحها حيث وجدوا بداخلها أكثر من ١٠٠ ثعبان (في رواية أخرى ألف ثعبان من عدة أنواع) موضوعة بداخل أكياس، إضافة إلى طلاسم وصور لثلاثة أطفال (وفي رواية أخرى عثر أيضاً على تذكرة لإحدى شركات الطيران). وتنتقل الرواية لاحقاً إلى ذروة الإثارة بحضور عضو الهيئة الشيخ سعيد الأحمري الذي حمله معه السحر إلى مركز الهيئة لفك طلاسمه. وهنا تبدأ الميثالوجيا فعلها الاستثنائي بعيداً عن عالم الشهود، ولكن استخراجها للرأي العام يبدو متضارباً، فبينما تحدّثت رواية عن أن عملية إعدام جماعية طالت الثعابين، فيما تم التحفّظ على محتويات الحقيبة وإعداد محضر لضبط الواقعة وتسليم المستندات للجهات المختصّة، فإن رواية أخرى تقول بأن المحتويات نقلت الى المركز للتأكّد من نوعية تلك الأعمال وإتلافها من خلال الحرق، وتضيف هذه الرواية بأنه تم اكتشاف أمر مالكها رغم إنكاره وإحالته للجهات المختصّة لإكمال التحقيقات معه.

لا مكان، إذاً، لاحتمالات التدخل المباشر من العنصر البشري في مشاكل الأفراد والجماعات، فلا بد أن يكون ثمة (غيبي) يدير شؤون المجتمع، فالمشاكل الزوجية، على سبيل المثال، تعبر الجلي لتعوم في عالم مستور، لا يتقن أحد سبل التعاطي معه سوى الفئة المحدودة التي خصّت بقدرة فريدة على اختراقه والخروج بمنجز غير قابل للتحقّق بوسائل عقلية وبشرية مجرّدة. فحين يعجز البشري عن حل مشكلة زوجية، مهما كانت، فإن كائناً آخر غير بشري يتحمّل المسؤولية. كثيرة هي القصص التي ينقلها رجال (الهيئة) عن أعمال السحر التي تحكم المعادلات الزوجية، بما يجعل مناطق عمل الجهاز الديني وحدها الأشد خصوبة للأعمال السحرية في كل أرجاء العالم، وفي الوقت نفسه يتحوّل رجال (الهيئة) إلى ما يشبه المنقذين بقدرات فائقة وخصائص فريدة، فهم وحدهم الأقدر على حل المشاكل الزوجية عبر إبطال مفعول السحر. في إحدى الوقائع في منطقة حائل، ذكرت (الهيئة) في ٣ مايو الماضي بأن الفريق المتخصص لمكافحة أعمال السحر والشعوذة في (الهيئة) عثر على عمل سحري مخصّص لتفريق زوجين، ويطلق عليه مسمى (الصرف)، وضع تحت إحدى مداخل أبواب منزل الزوجين الذين تم، بحسب رواية الهيئة، تفريقهما وانفصالهما الروحاني بسبب العمل، حيث (دبّ الكره والبغض بينهما قرابة ثلاث سنوات مما نتج عنه فشل حياتهما الزوجية).

الاحتفاظ بالأتباع داخل المجال المغناطيسي للعقيدة السلفية صار مشروطاً بقدرتها على اختراق العوالم الخفيّة، كعنصّر تميّز تنفرد به دون باقي العقائد

وتمضي الرواية للقول أنه بعد الكشف عن العمل السحري من قبل (المختصّين في معمل الكشف في الهيئة وبعد التأكد من محتواه السحري وإتلافه بالطريقة الشرعية إنتاب الزوجين حال عملية الإتلاف نشوة حنين لبعضهما والتفكير الجدي لإرجاع حياتهما الزوجية إلى ما كانت عليه بعد نزوح هذا الكابوس..) بحسب مدير عام الفرع الشيخ سليمان الرضيمان.

تجدر الإشارة إلى أنه في ١١ مايو الماضي، أعلن الرئيس العام لـ (الهيئة) الشيخ عبد العزيز حميّن الحميّن، عن إنشاء وحدة جديدة تابعة للهيئة بإسم (وحدة مكافحة السحر والشعوذة)، واعتبر الحميّن ذلك بأنه (إجراء إستراتيجي طويل المدى لمكافحة السحر والشعوذة والمشعوذين في هذه البلاد بالقبض على السحرة والمشعوذين وتوعية المجتمع بخطرهم ومنع استخدام الأساليب المخالفة في الرقية من خلال تطوير أساليب قدرات العاملين في الرئاسة والتعاون الإيجابي مع الجهات الأخرى وتفعيلها لمكافحة هذا الخطر حماية لجناب التوحيد من مظاهر الشرك والتعلق بغير الله).

ولأن المنافسة بين المشتغلين في مجال السحر تتطلب توظيف كل أدوات التشويق والجذب، فقد أصبحت نزعة التديين مطلوبة بقوة، فقد دخلت الآيات القرآنية، والذكر الديني، والأدعية المأثورة، والعبارات المدجّجة بشحنات روحية عالية، بل حتى الجان المسلم وربما السلفي مشاركاً في حل المشكلات الإجتماعية.

في العالم الخفي، يبدو عنصر الإثارة الفنتازوية بطابعه الديني حاضراً بكثافة، حيث يتم استخدامه بتساهل فارط. ولأن فصول التجاذب في العالم الخفي يدور حول قدرات خارقة وفريدة، فإن استحضار الغيبوي يكتسي في المجتمعات الدينية مشروعية خاصة. تفيد رواية (الهيئة) في ٨ مايو ٢٠٠٨

أن رجالها تمكنوا من الإيقاع بأحد السحرة الأفارقة يدير عيادة خاصة، بمساعدة (ممرضين) من الجان. وتضيف (الهيئة) أن هؤلاء (الجان) يقومون بتشخيص الحالات المرضية للزبائن، ويصرف هو العلاج المناسب لهم بعد أن يستحضر صديقة الجني الآخر ويدعى عبد الله، الصيدلي الخاص. وكان لدى الساحر، بحسب الرواية، ثلاثة من الجن، أصبحوا كلهم مسلمين، ويدعى أحدهم عبد الله. رد فعل (الهيئة) كان مثيراً هو الآخر، حيث نفى مدير عام فرع الرئاسة العامة لـ (الهيئة) بمنطقة مكة المكرمة الشيخ أحمد بن قاسم أن (الاستعانة بالجان والشياطين في أمور العلاج والرقي وغيرها باطل)، على قاعدة أن الجان لا يمكن أن يصدر عنهم سوى الشر، وليس نفي دورهم بالمطلق في حياة البشر.

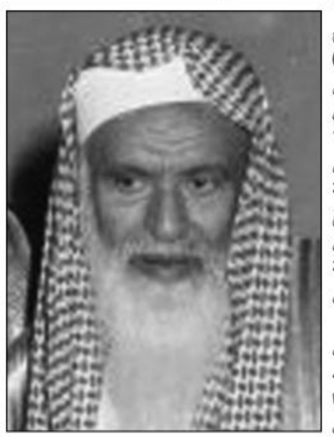
تفسير كثير من الأمراض العضوية والنفسية والاجتماعية يكتسي بعداً غيبوياً، إذ يغيب دور الطب الحديث، وتحضر بكثافة العلاجات الغيبوية. في سؤال وجّهته المجلة العربية بتاريخ ١٩ ذي الحجة ١٤١٦هـ إلى المفتي السابق الشيخ عبد العزيز بن باز عن (علاج صرع الجن للإنس) فأجاب أن المس هو صرع الجن للإنس، وعلاجه بالقرآن الكريم، وبالإدعية النبوية، وبالوعظ والتذكير والتغريب والترهيب). وهكذا، فإن تصعيد البعد الميثولوجي في الحراك السلفي بدا واضحاً من كثافة الوقائع التي تدور حول إنجازات الأجهزة الدينية السلفية في الحقل الغيبوي.

وللمرء تخيّل كيف أن العاملين في مجال السحر مارسوا (المهنة) طيلة عقود وبصورة علنيّة، حيث كان المرتادون لبيوت المشعوذين يدلفون إليها مثنى وفرادى دون محاذير أمنية أو دينية دع عنك اجتماعية، ولكن في لحظة ما، أي فور تفجّر الظاهرة السلفية في منتصف الثمانينات بدأت الاختراقات تمتد إلى كل مجالات المجتمع، وتزايدت، هذه الاختراقات، بصورة ملحوظة في السنوات الأخيرة. فلماذا، على سبيل السؤال، تقع ساحرة مشهورة في أبو عريش في قبضة رجال (الهيئة) بعد مرور ثلاثة عقود كانت فيها النساء تأتي إليها طلباً للعلاج من السحر، بحسب بيان للهيئة في ٨ إبريل ٢٠٠٨؟ بالرغم من أن هذه الساحرة، والتي تبلغ من العمر ٧٠ سنة، تستقبل زبائنها الإناث بصورة علنية مدة ثلاثين عاماً، ولها سوابق مسجّلة لدى الشرطة، بحسب صحيفة (عكاظ). لابد أن يلفت ذلك التحرّك المتأخر من رجال (الهيئة) إلى أن بعداً جديداً بدأ يندمج في أجندة هذا الجهاز، وإذا كان من إشارة إلى تنامي ظاهرة الشعوذة في هذا البلد، فإن ثمة إشارة أخرى إلى كون التيار الديني بات يستوعب مجالات أخرى كانت مغفولة، أو غير ذات أهمية، يعكس ذلك أيضاً حجم العتاد غير المسبوق المستعمل في مواجهة ظاهرة السحر والشعوذة واستخدام الجن واستحضارها، كما يشير الى ذلك تخصيص وحدة لمكافحة السحر والشعوذة التابعة لـ (الهيئة).

حادثة أخرى مشابهة، نقلتها صحيفة (الجزيرة) في ١٢ فبراير ٢٠٠٨، أن رجلاً اعتاد التردد بزوجته طريحة الفراش على من يطلق عليهم بـ (القرّاء) بغية شفائها من مرض فجائي أصابها، وفشل الوصفات الطبية التي أعطيت لها من جهات طبية عدّة. وحين يخفق العلاج الطبي يتدخل (الغيبوي) كعلاج بديل، ولذلك فإن الخيط الذي يؤدي إلى كشف الغموض في مرضها يأتي من مكان آخر حيث (اكتشف المشايخ الذين تناوبوا على القراءة على زوجته أنها مسحورة وقد وضع لها عمل..)، بحسب نتائج تحريّات لجنة ضبط السحر التابعة لـ (الهيئة). المفاجئة بحسب اللجنة تمثّلت في عثورها على (طلاسم وكتب عن السحر والشعوذة وبعض العقد) كانت موجودة في حقيبة الخادمة الأندونيسية. وبحسب رواية اللجنة، فإنها نجحت في فك العقد (فيما قام أعضاء الهيئة بالقراءة على الزوجة المريضة).

هذه الواقعة ومثيلاتها، التي تتكرر بصور متقاربة، تستحضر على الدوام أطرافاً ثلاثة: الساحر، عدّة السحر، إبطال السحر على يد الهيئة. فكل ما يصعب حله في عالم الشهود ينتقل إلى عالم مستور يحقق فيه الديني ما يعجز عن تحقيقه في الواقع المرئي، وفي كل الاحوال تنتهي النتيجة في العالم الخفي بانتصار الديني السلفي، ليس لأن الحقيقة تنبىء عن ذلك، ولكنها الحقيقة الإفتراضية التي يراد تقديمها، فليس المهم أن تتطابق النتيجة مع الواقع، ولكن ما هو أخطر أن يبدو الوهمي في هيئة حقيقة واقعية، وكأنه إعادة إنتاج لشكل جديد من أشكال السحر الذي يراد منا تصديقه.

إشراك المجتمع في مكافحة السحر يتجاوز حدود المهمة، ويهدف، في جانب منه، إلى إدماج هذا المجتمع في بيئة عمل الديني، فيما يشبه إعادة تشبيك في نسيج السلطة وأيضاً تعزيز دور أجهزة الضبط الديني والإجتماعي. الخطوط الساخنة التي وفّرتها (الهيئة) لأهالي الرياض من أجل الإبلاغ عن السحرة ليست مجرد تدبير تقني، بل تمثّل محاولة شرعنة عمل الهيئة. فماذا تعني أن الخطوط الساخنة تلك ساعدت في القبض على أكثر من ١٠٠ ساحر في الرياض خلال ١٢ شهراً، بحسب تصريح لعضو في (الهيئة) لصحيفة (الوطن) في ٢١ يوليو ٢٠٠٧، والذي قال بأن أكثر من ٢٠٠ إتصال ترد يومياً إلى مركز الفاروق والفيصلية وحده في الرياض، وتبلغ عن السحرة والمشعوذين في مقابل مبالغ مالية لمن يساعد في القبض على ساحر.



الشيخ ابن جبرين: الزواج بالجن متحقق والتوالد مشكوك!

وإذا ما تم خفض عدد الإتصالات الوهمية، أي تلك التي يقوم بها أناس لمجرد الحصول على مكافأة مالية، فإن عدد السحرة وحجم الاتصالات والامكانات المخصّصة لمكافحة السحر، يشير إلى ظاهرة إجتماعية وثقافية غير مألوفة وغير مسبوقة، وكأننا أمام مجتمع يعيش نصفه، تقريباً، تحت وطأة تأثيرات لعالم السحر بإملاءاته المداهمة، وقد يوحي، على الأقل، أن هذا البلد قد بلغ مستوى الإنفلات فيه حداً خطيراً وبات مرتعاً لأشكال شتى من النشاطات غير القانونية.

يذكر مدير عام فرع الرئاسة العامة لـ (الهيئة) بمنطقة المدينة المنورة الشيخ سليمان بن صالح التويجري أن (الهيئة تضبط عشرين شخصاً في قضايا سحر وشعوذة خلال ثلاثة أشهر)، وأن مراكز الهيئة تستقبل كثيراً من الشكاوى من ضحايا السحرة والدجالين والمتضررين. ولهذا السبب تم إنشاء لجنة متخصّصة في مكافحة قضايا السحر والشعوذة والدجل على مستوى المدينة.

وفي ٢٣ مايو ٢٠٠٥ تم الإعلان عن إلقاء القبض على أكثر من مائة ساحر، من الرجال والنساء، خلال عامي ٢٠٠٦ ـ٢٠٠٨. وتثير قصص السحرة فضولاً عالياً، لكون كثير منهم بات يستعمل اللغة الدينية في توفير (العلاجات) للزبائن، ما يزيد الأمر تعقيداً سواء بالنسبة لمن يأملون في الحصول على وصفات مثالية لأمراضهم، أو حتى بالنسبة للأجهزة الدينية التي تمارس ذات الدور. في واقعة يرويها فرع (الهيئة) في المدينة المنورة أن طبيباً أوروبياً من أصل عربي تقدّم ببلاغ اليها بعد ملاحظته كثير من المتردّدين على (عيادة سريّة) لأحد السحرة في فندق (خمس نجوم) بالمدينة. وكان الأخير يقدّم نفسه لزبائنه على أنه (شخص متدين آتاه الله علما وقدرة

على علاج الحالات المرضية المستعصية)، ويزعم بأنه على اتصال (بالأنبياء ومقابلتهم في اليقظة والمنام..ورية الملائكة وسائر الأنبياء). وتبيّن لاحقاً أن الطبيب ـ الساحر لم يكن مسلماً بل كان نصرانياً، وأنه يقيم في المدينة المنورة بصفة غير رسمية لأكثر من سنتين. وعثرت (الهيئة) على (عدد كبير من الرسائل التي يوهم بها الناس بأنها من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أشخاص يعانون من بعض المشكلات..).

ولحظ رجال الهيئة بأن (كثيراً من المشعوذين والدجالين يتسترون تحت غطاء الطب الشعبي والرقية، ويتظاهرون بأنهم رقاة وأطباء شعبيون.. تم ضبط عدد كبير ممن يمارس الشعوذة والدجل بدعوى ممارسة الطب الشعبي أو الرقية الشرعية..)، فيما وجّه رئيس فرع للهيئة في المدينة حديثه (للمواطنين والمقيمين بأن يحرصوا على التحصن بالأوراد والتحصينات الشرعية، وعدم الذهاب إلا لمن يوثق في دينه وأمانته من الرقاة الشرعيين أو الاطباء الشعبيين). وكانت أحياء واسعة من المدينة المنورة قد تحوّلت خلال الأعوام الثلاثة الماضية مسرحاً لنشاط السحرة، وعمليات مداهمة لمقرّات إقامتهم، التي يتوافد عليها الزوّار. وبحسب تفسير (الهيئة) فإن كثرة من يمارسون أعمال السحر في المدينة المنورة يعود إلى أن هؤلاء يريدون النيل من عقائد الناس وتشكيكهم في دينهم باعتبار أن المدينة المنورة منبر للإيمان. ولكن ما لا يجيب عنه هذا التفسير هو لماذا تكاثرت أعداد هؤلاء السحرة في السنوات الأخيرة، رغم أن الأهمية الإيمانية للمدينة ترتد إلى قرون عدّة، ولماذا بات استعمال وسائل الرقية الدينية رائجاً بعد أن كانت مقتصرة على الرموز والطلاسم الغامضة، ولماذا يحظى هؤلاء بشعبية واسعة كما تكشف الأعداد الكبيرة من مرتادي مراكز السحر. يضاف إلى ذلك، أن بيانات الهيئة حول السحرة تتحدث عن عنصر آخر ذي طبيعة دينية، أي (نشر البدع والخرافات الشركية..)، وكأن ثمة سحرة ينتمون إلى مدارس دينية متعدّدة مخالفة للمذهب الوهابي. نشير هنا إلى أن أحكاماً بالسجن والجلد وربما الإعدام طالت أفراداً من مذاهب إسلامية أخرى بتهمة السحر والشعوذة لمجرد أنها تختلف مع المذهب السلفي.

تثير بعض قصص الأعمال السحرية الريبة في صحة وقوعها، أو الطريقة التي جرى تقديمها. في قصة نشرتها صحف محلية نقلاً عن مصدر بـ (الهيئة) أنها أطاحت ساحراً بعد ورود بلاغ من أحد الأشخاص يشتكي من زوجته وأنه أصبح (خاتماً في إصبعها) مبدياً شكوكه في استخدامها السحر ضده. وتضيف رواية (الهيئة): وقد توجّه أحد المختصين من رجال الهيئة إلى منزل الشاكي فعثر على (رأس خروف) تم دفنه في فناء المنزل. وتختم إفادة (الهيئة) بالقول أن الزوجة إعترفت بعد التحقيق معها بالتعامل مع أحد السحرة بهدف (المحافظة على زوجها الذي يريد الزواج بأخرى).

في قراءة الرواية من زوايا عدّة، تبرز طائفة من الأسئلة، أولاً حول السبب الذي يجعل تحوّل رجل إلى خاتم في إصبع زوجته، وهل ثمة حاجة إلى عمل سحري، بالنظر إلى ما تملكه بعض النساء من السحر بما يكفي دون (الاستعانة بساحر/صديق)، فضلاً عن أن حالة كهذه قابلة للتفسير ضمن ظروفها الخاصة المحيطة بالزوجين. أما دفن (رأس خروف) فسؤال كبير يثار حول ثبوت الرابطة بين رأس الخروف وتحوّل الزوج إلى خاتم، ما لم تكن حزمة الإيحاءات التي تسرّبت إلى المرأة قد منحتها جرعة شجاعة زائدة وقوة تأثير استثنائية على زوجها، وما إذا كان رأس خروف سيحول دون تنفيذ الزوج قراره بالزواج من أخرى؟

لا بد أن الطريقة التي تتم بها عرض قصص السحرة تجعل من (الهيئة) أحد الوسائل الفاعلة في الترويج لمثل تلك القصص، بالنظر إلى تقديم المعطيات التي تنطوي على قيام السحرة بتنفيذ خوارق لاعقلانية، وقد تشي طريقة العرض بأغراض أخرى تخص (الهيئة) ومجال عملها.

ما سبق يضيء على التصوير السلفي لموضوعات غيبوية مثل الجن الذي يحتل مساحة وازنة في الأدبيات السلفية. وكان المفتي السابق الشيخ عبد العزيز بن باز نشر توضيحاً حول دخول الجني في الإنسي والرد على من أنكر ذلك. وجاء التوضيح على النحو التالي: أما بعد . . فقد نشرت بعض الصحف المحلية وغيرها في شعبان من هذا العام أعني عام ١٤٠٧ هـ أحاديث مختصرة ومطولة عما حصل من إعلان بعض الجن – الذي تلبس ببعض المسلمات في الرياض – إسلامه عندي بعد أن أعلنه عند الأخ عبد الله بن مشرف العمري المقيم في الرياض، بعدما قرأ المذكور على المصابة وخاطب الجني وذكّره بالله ووعظه وأخبره أن الظلم حرام وكبيرة عظيمة ودعاه إلى الإسلام لما أخبره الجني أنه كافر بوذي ودعاه إلى الخروج منها، فاقتنع الجني بالدعوة وأعلن إسلامه عند عبد الله المذكور، ثم رغب عبد الله المذكور وأولياء المرأة أن يحضروا عندي بالمرأة حتى أسمع إعلان إسلام الجني فحضروا عندي فسألته عن أسباب دخوله فيها فأخبرني بالأسباب ونطق بلسان المرأة لكنه كلام رجل وليس كلام امرأة، وهي في الكرسي الذي بجواري وأخوها وأختها وعبد الله بن مشرف المذكور وبعض المشايخ يشهدون ذلك ويسمعون كلام الجني، وقد أعلن إسلامه صريحا وأخبر أنه هندي بوذي الديانة، فنصحته وأوصيته بتقوى الله، وأن يخرج من هذه المرأة ويبتعد عن ظلمها، فأجابني إلى ذلك، وقال: أنا مقتنع بالإسلام، وأوصيته أن يدعو قومه للإسلام بعدما هداه الله له فوعد خيراً وغادر المرأة وكان آخر كلمة قالها: السلام عليكم.

ثم تكلمت المرأة بلسانها المعتاد وشعرت بسلامتها وراحتها من تعبه. ثم عادت إلي بعد شهر أو أكثر مع أخويها وخالها وأختها وأخبرتني أنها في خير وعافية وأنه لم يعد إليها والحمد لله، وسألتها عما كانت تشعر به حين وجوده بها فأجابت بأنها كانت تشعر بأفكار رديئة مخالفة للشرع وتشعر بميول إلى الدين البوذي والإطلاع على الكتب المؤلفة فيه، ثم بعدما سلمها الله منه زالت عنها هذه الأفكار ورجعت إلى حالها الأولى البعيدة من هذه الأفكار المنحرفة. ويمكن مشاهدة التوضيح في موقع الشيخ بن باز على الإنترنت. وجاء توضيح الشيخ بن باز على خلفية إنكار الشيخ علي الطنطاوي حدوث هذا الأمر، الذي وصفه بأنه (تدجيل وكذب، وأنه يمكن أن يكون كلاماً مسجلاً مع المرأة ولم تكن نطقت بذلك). ورد الشيخ بن باز في ٢ ذي القعدة سنة ١٤٠٨هـ قائلاً: وقد عجبت كثيرا من تجويزه أن يكون ذلك مسجلا مع أني سألت الجني عدة أسئلة وأجاب عنها ، فكيف يظن عاقل أن المسجل يسأل ويجيب، هذا من أقبح الغلط ومن تجويز الباطل..وقال الشيخ بن باز في رد على إسلام جني على يد إنسي بأنه أسلم جمٌ غفير من الجن على يد النبي صلى الله عليه وسلم. واستند الشيخ على روايات في صحيحي البخاري ومسلم.

الحرب السلفية على ظواهر (السحر والشعوذة والجن) لم تكن ذات طبيعة عقدية بقدر ما هي حرب نفوذ إجتماعي تتطلب استعراضاً خرافياً

في المقابل، ورد في كتاب الشيخ بن باز (مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، ص ٢٧٧) في الجزء التاسع، جمع وترتيب الدكتور محمد بن سعد الشويعر ومثّبت في الموقّع الرسمي للشيخ بن باز على الإنترنت أن محاربة علي للجن (كذب لا أصل له) وشرح ذلك قائلاً (كل هذا لا أصل له، فلم يحارب الجن ولم يقع شيء من ذلك، بل هذا باطل ومن الكذب والموضوعات التي أحدثها الناس، وقد نص أبو العباس شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على ذلك وقال: إنه كذب لا أصل له وهو من الأباطيل التي افتراها الكذابون).

ويشتمل مجموع فتاوى الشيخ بن باز على آراء شرعية في موضوع

التلبّس بالجن، وقدراتهم الخارقة في التحكّم في شؤون البشر. وفي جوابه عن سؤال ورد له في برنامج (نور على الدرب) عن صحة دخول الجن جسم الإنسان، قال الشيخ بن باز: نعم الجن تلتبس بالإنسان، تلتبس به على صفة خاصة حتى تنطق على لسانه وتتكلم على لسانه بأشياء يعرف صوت الجني من صوت الإنسي، وهذا واقع قديماً وحديثاً، وهو المجنون الذي تلتبس به الجني هو المجنون يتكلم الجني على لسانه أعطوني كذا، أعطوني طيب، اذبحوا لي كذا افعلوا كذا، ترى في المحل الفلاني، بصوت يسمعه الناس غير صوت الإنسي وهذا شيء يقع ومن أنكره فقد غلط وهذا التباس الجني بالإنسي ولهذا يكون مجنوناً يختل عقله ويضطرب فإذا ذهب عنه وفارقه رجع إليه عقله. وفي فتوى أخرى، طالب الجن بعدم الدخول في أجساد الإنس، وأن تحكم علاقتهم قاعدة (الاحترام المتبادل) (مسألة بعنوان: هل يجوز للجن أن يسكنوا في أجساد البشر؟ مثبّتة في الموقع الرسمي للشيخ بن باز على شبكة الإنترنت.

وكما يبدو، فإن الشيخ بن باز تبنى العقيدة الشعبية في الجن، إن لم يكن ثبّت ما كان يروّج له من يدّعي التعامل مع الجن، رغم ما تبطنه هذه الآراء من تعطيل لإرادة الإنسان وحريته، بحيث يصبح مسلوب الإرادة، فقد يتحوّل عن ديانته بفعل سكون الجن بداخله، بما يعتبر مخالفة صريحة مع آيات قرآنية (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)، و(لا إكراه في الدين)، بل إن الله سبحانه الذي وهب الإنسان القدرة على اتخاذ القرار الحر لم يشأ التدخّل في إرادة الإنسان (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين).

سئل عضو هيئة كبار العلماء الشيخ عبد الله بن جبرين عن نكاح الجن، وإن كان يوجب الغسل؟ فجاء في الجواب: والغالب أن الذكر منهم ـ أي من الجن ـ لا يلابس إلا الأنثى من البشر، والأنثى تلابس الذكر من البشر، ويجدون لذة وشهوة. ولكنّه توقف في مسألة التوالد، وقال (لا أدري هل يحصل التوالد أم لا؟).

ولا يستند الشيخ بن جبرين على قرآن أو سنّة، ولا تجربة شخصية ولكن بحسب قوله (هذا ما حكاه لنا من نثق به). وقال بخصوص الغسل أنه متى حصل الوطء المعروف من الرجل لامرأة من الجن أو وطىء رجل منهم إمرأة من الإنس حصلت الجنابة ووجب الغسل لوجود سببه وهو الإيلاج الحقيقي أو الإنزال) بحسب الشيخ بن جبرين، كما جاء في موقعه الرسمي على شبكة الإنترنت.

ووافق ذلك رأياً للشيخ إبن تيمية حول الصرع الذي يصيب الإنس، الذي قد يكون عن شهوة وهوى وعشق كما يتفق للإنس مع الإنس، وقال الشيخ: وقد يتنكاح الإنس والجن ويولد بينهما ولد وهذا كثير معروف. ويقول الشيخ ابن تيمية (وكر أكثر العلماء مناكحة الجن).

ويرجع بعض العلماء أسطورة الزواج بين الجن والإنس إلى الاسرائيليات التي دخلت في الثقافة الشفوية السائدة في الجاهلية، حيث كانت المدينة المنورة مليئة بتلك العقائد الخرافية، والتي لم تندثر تماماً، بل تسرّبت، أيضاً، إلى الاشتغالات الفقهية، وأفتى بعض العلماء بأن حمل الزانية غير المحصنة لا يطالها حد الزنى إذا إدّعت بأنها حملت من جني.

ونشرت مجلة (المجتمع) الكويتية في ١٨ أغسطس ١٩٨٧ مقالاً نقدياً حول الاهتمام الذي يوليه علماء المدرسة الوهابية بموضوع الجن، وجاء في المقال أن: تجارب الحنابلة وابن تيمية وابن القيم والأعمش وبن باز وبن عثيمين مع الجن كثيرة وظريفة ففي عام ١٤٠٧هـ بعد أقل من عشر سنوات تقريباً من صعود أول إنسان على سطح القمر نشرت بعض الصحف المحلية والمجلات إعلان بعض الجن الذين تلبّس ببعض المسلمات في الرياض إسلامه على يد بن باز وادعى البعض كالعمري المقيم في الرياض أنه يشاهد الجن ويسمع كلامهم وكيف أنه يستطيع أن يدعوهم للإسلام كما يدعوهم للخروج من النساء. ثم يتسائل كاتب المقال: ولا اعلم سر تلبس الجن بالنساء من غير الرجال وكيف يسمح لهم الإختلاء بهن؟

وهناك من يعتقد بأن بعض الجن يحضر من قارات بعيدة دروس العلماء، ويسلمون على أيديهم، واللافت أن لون بشرة الجني غالباً ما تكون سوداء، بل إن بعض التصويرات للجن في الأدبيات السلفية قد وهبتهم قدرة على التحكّم في قوانين الخلق، وإدارة شؤون الكون، بما ينزلهم منزلة الخالق. كما جاء في كتاب (المنهج اليقين في بيان أخطاء معالجي الصرع والسحر والعين) لمؤلفه أسامة بن ياسين المعاني.

وليس الامس القريب بغريب عن اليوم فنقلت جريدة المدينة السعودية الجمعة ١٦-٦-٢٠٠٦ ان راقي شرعي ربط بين جريمة قتل وجني. وقال الشيخ سامي رشيد الروقي المعالج بالرقية الشرعية (إن المرأة القاتلة كانت تأتي برفقة زوجها لمعالجة إبنتها من السحر وكانت تحضر ضمن مجموعة من النساء في الصالة المخصصة للقراءة والرقية الشرعية بالعيادة) ويضيف (إكتشفت فيما بعد ان هذه المرأة تعاني من لبس جني وان ابنتها أيضاً مسحورة). ويقول الروقي (أراد الجني المتلبس للمرأة أن يتخلص مني وذلك بعد أن حملها على حمل السلاح والإتيان به لمقر العيادة وفي الموعد المحدد للقراءة ..إذ فوجئت واثناء قيامي بالقراءة المعتادة على مجموعة من النساء بأن الناس تقول بأن هناك شخصاً قد قتل وحينها توقفت عن القراءة وذهبت لأستطلع الأمر وإذ بي أشاهد رجلاً ملقياً على الأرض وذلك بعد تعرضه لطلق ناري إستقر في صدره ورأيت وقتها المرأة تصرخ على قيامها بهذه الفعلة وذهلت من هذا الموقف وحاولنا أنا والحاضرون مساعدة الرجل وإنقاذه ولكن المنية وافته في الحال). وأشار إلى أنه لم يصدّق عندما علم فيما بعد أن المقصود بالطلق الناري هو وليس زوج المرأة والذي وقع ضحية وذلك بدافع من الجني الذي لبس المرأة.


الشيخ ابن باز: الاحترام المتبادل بين الجن والإنس!

في تحليل هذه القصة المثيرة ما يبعث أسئلة غاية في الجديّة، كونها تنطوي على تسويغات لجرائم كثيرة يمكن وقوعها تحت مدعى سكون الجان في أجساد البشر، بما يضيع معه ملامح الجريمة البشرية بامتياز. فكم من جريمة يمكن تخيّل وقعها بإسم الجان؟ وكيف توصّل هذا القارىء ـ الشيخ إلى دليل بأن الجني قد أخطأه وصوّب رصاصاته إلى الزوج؟

ما يمكن أن نخلص به من قراءة التراث الميثالوجي السلفي، أن النزعة الخرافية المندمجة فيه تمثل التناقض العميق بين ما هو عقدي نظري وبين ماهو عملي، ولذلك لا غرابة في أن المصادر التي تنقل عنها المدرسة السلفية في موضوعات ذات طبيعة ميثالوجية تنتمي إلى بيئة مزدودة مدرسية والإجتماعية، بمعنى أنها مصادر خاصة لا تمثل مرجعية مشتركة مع بقية المدارس الإسلامية. ولذلك فليس مستغرباً أن تنفرد هذه المدرسة بآراء تعتبر في الرؤية الإسلامية العامة شاذة. وفي الأخير، تبيّن أن الحرب السلفية التي أعلنت على ظواهر السحر والشعوذة والمخاريق والجن وغيرها لم تكن حرباً عقدية بقدر ماهي حرب نفوذ إجتماعي.

خطط تغيير معالم المدينة المقدّسة

شركات بريطانية في مكة

محمد الأنصاري

يثير الحيرة حقاً أن يكون موضوع الخطر المحدق بالآثار التاريخية والدينية في مكة والمدينة مورد اهتمام وسائل غربية، بل مصنّفة باعتبارها علمانية، فيما لا نكاد نسمع موقف احتجاج أو استنكار من جهات إسلامية محلية أم خارجية، وقد تم تدمير البقية الباقية من مكة القديمة، وأخرج الأهالي من منازلهم على أساس وعود بالتعويض، فيما تتواصل عمليات الهدم والردم على مساحة شاسعة من مكة القديمة. ٢٠ مليار ريال هي قيمة تكلفة التوسعة، وإزالة ألف منزل تقع داخل مكة القديمة، ولم يتسلّم أحد منهم التعويض حتى الآن، بعد اقتلاعهم عنوة من منازلهم، ما يعني أن ما لم يجرؤ الملك فهد على فعله في مشروع التوسعة الأول، يقدم عليه الملك عبد الله بصورة سريّة تحت غمامة من المديح والثناء على ما اقترفه في الديار المقدّسة.

تبدّل المشهد التاريخي، وانحسر الزخم الروحي للمدينة المقدّسة، هكذا يخبر كل زائر، دع عنك أهل مكة الذين يرقبون بعيون الحسرة اختطاف هوية وتاريخ وروح أقدس بقعة على وجه الأرض، فما يجري في أقدس البقاع بمثابة قرصنة تقتلع سيرة كل حجر وذرة تراب، تحكي عن أجيال متعاقبة، موصولة بجيل الطهر الأول، لا المساجد، ولا الآبار، ولا البيوت الأثرية، ولا المواقع الرسالية يمكن العثور على رسومها، فقد اندثرت جميعاً تحت مبانٍ، ومطاعم، ومكاتب عقارية، وأسواق، حتى يخيّل للزائر وكأن يأتي الى مدينة أخرى، لم تكن مهبط الوحي، ومعدن الرسالة، ومهوى جيل من العظام الذين افتدوا بأرواحهم خاتم الرسالات..أراد آل سعود أن ينسى المسلمون كل ما له صلة بتاريخ مكة ما قبل احتلالهم لها، وكيما تتحوّل إلى (ميني دبي) كما يصفها الإعلام الغربي، بحيث لا يميّزها شيء عن أي مدينة حديثة سوى المسجد الحرام الذي ينقطع السبيل به عن جذوره التاريخية والدينية والحضارية.

تستكمل مشاريع التوسعة، وبذرائع غير واردة في مخيّلة حملة معاول الهدم كالسهر على راحة ضيوف الرحمن، مهمة مسخ الهوية الدينية والتاريخية للمدينتين المقدّستين، وما يجري على مكة ينسحب على المدينة. ومن اللافت أن يجنّد لتلك المشاريع من غير المسلمين من مصمّمين بريطانيين وكنديين، ولا ندري قد يشارك الإسرائيليون في تلك المهمة.

هؤلاء المصمّمون الذي ينتمون الى بلدان تحظر بقوة القانون المساس بكل ما يتصل بتراثها وحضارتها وتاريخها، الممتدة على مساحة واسعة من المدن الكبرى والصغرى في هذه البلدان، بل تأسست وزارة خاصة بحفظ التراث وصونه من الإعتداء، يأتون إلى ديارنا بتصاميم جديدة لإزالة معالم وتراث وآثار أقدس بقعة في بلاد المسلمين..جاءوا خلسة، بتنسيق وتخطيط مع الملك والأمراء الكبار، كيما ينفّذوا مخطط محق الهوية الدينية والتاريخية للمدينتين المقدّستين، ولذلك أبقي مخطط التوسعة الجديد طي الكتمان إلى أن كشفت النقاب عنه الصحافة البريطانية.

في ١٠ مايو الماضي، نشرت صحيفة صنداي تايمز مقالاً للكاتب كريس جورلاي عن المشهد الجديد للمدينة الأكثر قداسة في الاسلام، أي مكة المكرمة، بعد أن أصبحت محاطة بالفنادق والأبراج التجارية والمطاعم الأجنبية، بما يشبه نموذجاً مصغّراً من مدينة دبي. وكتب جورلاي، أن نورمان فوستر وزها حديد منخرطان في خطط لتحويل المشهد حول مكة، المدينة الأكثر قداسة في الاسلام، لتمهيد السبيل أمام ارتفاع مبان شاهقة، متكاملة مع قطار عالي السرعة مخصص للحجاج. وقام العاهل السعودي الملك عبد الله بن عبد العزيز بمراجعة التصاميم الهندسية التي تحافظ على موقع المسجد الحرام في موقع القلب من مكة المكرمة التي ستتسع لخمسة أضعاف حجمها الحالي لاستقبال ٥ ملايين حاج في موسم الحجيج.

ويعتقد النقّاد بأن ٢٠ عاماً من برنامج التوسعة سيحيل مكة إلى (دبي المصغرة)، الإمارة الشرق أوسطية التي أصبحت نموذجاً للنزعة الإستهلاكية. ومن المتوقع ان يزال الكثير من المباني القائمة بما في ذلك الجبال العتيقة حتى يمكن إقامة فنادق سبعة نجوم ومبان سكنية تناطح السحاب تحتوي على شقق فاخرة. ويقول مسؤولون سعوديون أن برنامج التطوير الذي يمتد لعشرين عاما، سيجعل المدينة تضاهي أحدث المدن العصرية!

يجدر بالذكر أن زها حديد وهي مهندسة عراقية المولد قامت بتصميم المركز المائي لاولمبياد لندن العام ٢٠١٢ ويعتقد انها قدمت مقترحات لتوسيع محيط المسجد الحرام. ورغم أن خطط حديد تظل طي الكتمان، فانها في السابق وضعت تصاميم جريئة لمشاريع مساجد أخرى، إحداها في ستراسبورغ يبدو فيه السقف بشكل مستوحى من الخطوط الإسلامية. كما أن من المعتقد أن حديد معنية بإعادة تصميم جزء من المنطقة الوسطى لمكة المكرمة.

اما المهندس فوستر الذي صمم برج غيركين في لندن ومطار بيجين، فقد أوكل إليه تصميم أربع محطات على امتداد طريق السكة الحديد السريع الجديد الذي يتكلّف ٣,٥ بلايين جنيه استرليني والذي يربط بين مكة المكرمة والمدينة المنورة.

وسيتحرك القطار السريع الذي أطلق عليه إسم (اكسبريس الحجاج) بسرعة ١٨٦ ميلاً في الساعة بين المدينتين جيئة وذهاباً كل ساعتين ونصف الساعة. كما انه سيمر بمدينة جدة ومدينة الملك عبد الله الاقتصادية.

وقال مكتب فوستر وشركاؤه الذي يعتقد أيضا بأنه معني بإعادة تخطيط مركز الحرم أن كل محطة للقطار ستعكس موقعها. وتصاميم أحد المحطات الذي تسرب حتى الآن أظهر سقفا محدّباً به ثقوب صغيرة تعد بالمئات، لتمرير إضاءة منقطة مشابهة لأحد الأسواق العربية. ولما كان لا يسمح لغير المسلمين دخول مكة، فان هذا يعني ان على فوستر ان يرسل مهندسين معماريين

مسلمين لدراسة الموقع، والعمل على التصاميم عن بعد.

وتزعم العائلة المالكة أن برنامج التحديث وهو المرحلة الاولى التي يمكن أن تتكلف ١٣ بليون جنيه استرليني، ستوفر مرافق محسنة لحجاج بيت الله الحرام. وقد أحجم كل من فوستر وحديد عن الحديث عن خططهما، إلا أن تصاميم مهندسين معماريين آخرين ومؤسسات هندسية، بما فيها عائلة أسامه بن لادن، التي تخضع للمراجعة أمام العاهل السعودي ألقت الضوء على الحجم الكبير للمشروع. وبعضها يظهر مسجداً جديداً تحيط به طريق للسيارات وناطحات سحاب منتظمة بحيث تواجه الكعبة المشرفة.

والخطط التي تسربت لشركة (أتكنس) البريطانية تظهر قطاعاً يعود للعصر العثماني من المسجد الحرام وقد استبدل بقاعة صلاة متعددة الطوابق تتسع لـ٣ ملايين مصل بعد أن كانت تتسع لـ٩٠٠ ألف. واقتراح للمرحلة الثانية من التطوير يدعو الى ازالة المسجد القديم واحلال مبنى على شكل دائرة مفرغة من الوسط بدلا منه بحيث تستطيع استيعاب اكثر من ٥ ملايين حاج. اما الكعبة المكرمة فتظل في مكانها.

وقال مدير مؤسسة أبحاث التراث الإسلامي في لندن عرفان العلوي التي تراقب عمليات تطوير مكة المكرمة (لا يدرك غالبية المسلمين ما الذي يجري في مكه لأن السعودية تتكتّم كثيراً على خططها، إلا أنهم يدمّرون مهد الاسلام، إذ يجري حالياً تدمير الموقع الى قطع صغيرة. ويفجرون الجبال ويزيلون المباني التراثية لبناء ١٣٠ ناطحة سحاب حول المسجد الحرام. ولقد خسرت مكه الكثير من سحرها وروحانيتها).

بينما قال ناطق بلسان السفارة السعودية في لندن ان الملك عبد الله لا يزال يدرس المقترحات جميعها ولم يصدر بعد قرار نهائي بشأن الخطة الرئيسة.

نشير هنا الى أن نبأ مشروع التوسعة هذا ليس جديداً، فقد نشرت صحيفة (إنديبندنت) في ٢٨ نوفمبر الماضي تقريراً جاء فيه أن منافسة تجري بين إثنين من كبار المصممين المعماريين البريطانين في أكبر عملية ترميم منفردة في التاريخ، وتتعلق باعادة تطوير مكة المكرمة، يتنافس عليها ١٨ مهندساً معمارياً وجّهت إليهما الدعوة لإعداد خطط لإعادة تصميم أقدس المدن الإسلامية ببناء مسجد يتسع لثلاثة ملايين حاج يزورون مكة المكرمة كل عام. وتعني عملية التطوير مضاعفة الحرم الشريف الحالي لأكثر من ثلاثة أضعاف حجمه الحالي الذي يتسع لـ ٩٠٠ ألف مصل، ليصبح أكثر المباني في العالم من حيث الاستيعاب. وتحظى هذه الخطط بدعم العاهل السعودي الملك عبد الله بن عبد العزيز. وبحسب الصحيفة فإن القصد من وراء التوسعة (اقامة مشهد معماري جديد) لمسجد مكة الذي تبلغ مساحته ٣٥٦,٨٠٠ متر مربع. ونقلت الصحيفة عن مصادر مقربة من المشروع لمجلة المهندسين المعماريين (اركيتكتس جورنال) أن من المحتمل أن يتم إنجاز المشروع على مراحل، ترتفع فيه طاقة المسجد الحرام في المرحلة الاولى الى ١,٥ مليون، ومن ثم تدريجياً الى ان تصل الى ثلاثة ملايين.

ويبدو أن المشروع كان يراد تمريره بطريقة سريّة خشية إثارة الرأي العام الاسلامي الذي شهد ما أحدثه آل سعود من تخريب للآثار الاسلامية في مكة المكرمة والمدينة المنورة، خصوصاًمع مشاركة غير المسلمين في مشروع التوسعة، ما يثير حساسية عالية في العالم الإسلامي. ولذلك رفض كل من فوستر وحديد التعليق على المشروع في ٢٧ نوفمبر الماضي، وإن قال ناطق بلسان المهندسة المعمارية حديد (أنه لا يمكن تأكيد أو نفي) تلك الأنباء، فيما قال مكتب فوستر (لقد تسربت أنباء المشروع، ليس من جانبنا. ولا نستطيع تبعا لذلك من التعليق عليه).

إلا أن مصادر أخرى وصفت المشروع بانه ينقسم الى جزئين..أحدهما يهتم بالبدائل المختلفة لتوسيع الجهة الشرقية من الحرم المقدس، والآخر يتعلق بالحرم نفسه. وقد دعيت مؤسسة لورد فوستر وهي (فوستر أند بارتنرز) للمشاركة في القسم الأول كما دعيت لهذا الجزء من المشروع عشر شركات أخرى، قيل أن شركة التصاميم (أتكينس ديزاين) من بينها.

أما زها حديد فقد دعيت لتقديم مخططها مع ست شركات شهيرة أخرى لإضفاء مظهر جديد للحرم القدسي إضافة إلى (دراسة الوضع في المنطقة الوسطى بأكملها). ومن المعتقد أن يكون المهندسون البريطانيون (آدامز كارا تايلور) و(فابر مونسيل) من بين من يمكن أن توجه اليهم الدعوة.

صحيفة (الجارديان) اللندنية ذكرت في ٢٩ نوفمبر من العام الماضي، بأن الملك عبد الله يقف شخصياً وراء دعم خطط التوسع وبقوة، والهدف المزعوم هو تقديم رؤية معمارية جديدة للمجمع الخاص بالحرم المكي والذي يمتد على مساحة ٣٥٦،٨٠٠ متر مربع وستقوم زها حديد ذات الاصول العراقية (٥٨ عاماً) بتقديم التصاميم النهائية امام الملك عبد العزيز الى جانب فوستر (٧٣ عاماً) بالإضافة الى بقية المعماريين. فما اقترفه الملك فهد في مشروع التوسعة من تدمير للأماكن المقدّسة لم يكن كافياً، وجاء دور خلفه الملك عبد الله من أجل استكمال مسيرة التدمير المنظّم، والتي يحصد فيه اللصوص من شركات الإعمار مبالغ طائلة.

الأخطر في مشروع التوسعة الجديد في مكة والمدينة أنه يتميز بحسب



مشاريع التوسعة الجديدة في مكة والمدينة تتم بأيدي مصمّمين بريطانيين وكنديين، ولا ندري قد يشارك الإسرائيليون في تلك المهمة التدميرية

وصف (الجارديان) بكونه (الأكثر جرأة في التاريخ) متمثلاً في تغيير معالم مكة المكرمة، وكذلك الحرم المكي، وهو ما يشتغل عليه نورمان فوستر وزها حديد المعروفان على المستوى العالمي إضافة إلى عشرات من المهندسين البريطانيين والكنديين الذين سيشتغلون على إعادة تصميم مدينة مكة، الأكثر قدسية في الاسلام، بحجة زيادة الطاقة الاستيعابية لضيوف الرحمن، من خلال بناء مجمع ملحق بالحرم يستوعب ٣ ملايين حاج يزورون مكة المكرمة كل عام، أي مضاعفة حجم الحرم المكي ثلاث مرات تقريباً من حجمه الحالي والذي يصل إلى ٩٠٠ ألف حاج ليتحول المبنى الى البناء الأكثر استيعاباً في العالم، حسب الصحيفة. إننا إذاً نتعامل هنا مع مجرد حقيقة خطيرة للغاية، إذ يراد تحويل المسجد الحرام إلى مجرد مبنى يحوز على طاقة استيعابية عالية.

زها حديد التي واجهت معارضة دامت اربع سنوات من مؤسسة التراث البريطانية لإنشاء صالة عرض على مساحة ٣ آلاف متر مربع ومجمع شققي في دائر هوكستون، بحسب مجلة (أركتيكتس جورنال) في ٣ ديسمبر من العام الماضي، لم تشعر بأن ثمة ما يحول دون تنفيذ مشروعها في مكة المكرمة، وهي مركز التراث الاسلامي ومستودعه.

حديد التي حاولت تحقيق حلمها في بريطانيا بعد معارضة مجلس هاكني لخططها، ما أدى الى تعطيل مشروعها لأربع سنوات وأخضعه لتعديلات عديدة كيما يتوافق مع شروط صارمة من مؤسسة التراث، ومع ذلك فإن موافقة مجلس هاكني لم يضع حداً للانتقادات الحادة من مؤسسة التراث الانجليزي التي مازالت تصرّ على رفض مشروعها، المقرر أن ينجز في عام ٢٠١٢، تشعر بارتياح بالغ كونها تجد غطاءً من رأس الدولة. وفيما وصفت خطة المهندسة حديد المقترحة لتنفيذ مشروعها في دائر هوكستون بأنه (ناشز) بالمقارنة مع المحيط المجاور له، وأن المقترحات تشكّل ضرراً فادحاً على الإحساس بالانحباس الذي ستسببه البنايات المحيط بالدائر، فإن تغيير معالم المدينة المقدّسة لا يخضع لنفس النظرة!

ما يظهر لنا في هذا المثال، أن زها حديد التي واجهت احتجاجات من أكثر من مؤسسة تراثية في بريطانيا كونها تقيم مشروعاً في منطقة داخل المجال الحيوي للتراث الحضاري للمملكة المتحدة، لم تواجه تدابيراً مماثلة في ديارنا المقدّسة، بل يظهر من التصاميم التي قدّمتها حول توسعة الحرم المكي أن لا عقبات حالت دون تنفيذ مهارتها المعمارية، ولكن على حساب مقدّساتنا وتراثنا وهويتنا الحضارية.

وبحسب مجلة (اركيتيكتس جورنال) في ٢٦ نوفمبر من العام الماضي، فإن نورمان فوستر وزها حديد يتنافسان على الفوز بالمشاريع الأكثر أهمية على وجه الأرض ـ أي توسعة مكة المكرمة. وبحسب مصادر المجلة، فإن الخطة للمدينة المقدسة تقوم على تشييد بناء جديد ضخم حول وسط المسجد الحرام والذي يجعل من هذا البناء مستوعباً لثلاثة ملايين زائر. المثير في الأمر أن هذه الخطط وضعت في خانة (الأسرار الكبرى) التي يدعمها الملك عبد الله، الذي طلب اختيار مجموعة منتقاة من المعماريين لتصميم رؤية معمارية لمجمع الحرم على مساحة تفوق ٣,٥ آلاف متر مربع.

وبحسب مصادر المجلة، فإن المشروع يستغرق عشر سنوات، ويتم تنفيذه على مراحل، تبدأ المرحلة الأولى من تحويل المسجد الحرام بحيث يستوعب ١,٥ مليون زائر، إلى أن يصل الى ٣ ملايين زائر مع إتمام عدّة مراحل تستغرق من خمس إلى عشر سنوات. وتضيف المجلة بأن خطط التنفيذ موزّعة بين جهتين، مع فوستر وشركائه والمخصصة للنظر في طائفة من البدائل للتوسعة الشمالية من المسجد الحرام، وهناك عشر خطط أخرى يعتقد بأنه تم التوصل إليها لتنفيذ دراسات جدوى في مشروع التوسعة، تشمل شركة أتكنس.

في غضون ذلك، تم منح زها حديد مهمة تقديم أفكار حول المسجد الحرام نفسه وكذلك (العودة الى زيارة المنطقة الوسطى). يضاف إلى هؤلاء ستة من أشهر المعماريين العالميين الذين ارتبطوا بهذا العمل. وبحسب المجلة، فإن المهندسين المقيمين في بريطانيا آدمز كارا تايلور وفيبر ماونسل في إطار المشروع الذي تبلغ كلفته عدة مليارات من الجنيهات الاسترلينية. وبحسب مصادر مقرّبة من مجلة (اركيتكتس جورنال) فإن (الدراسة ـ أي دراسة المشروع ـ لم تقصد بها المنافسة..فالهدف الرئيس من دراسات التصميم هو لإثراء خطابنا حول ما يجب تقديمه للعمارة المستقبلية للحرم وزيادته). فأعمال التصميم، إضافة إلى تحقيقات أخرى، ستخضع للعرض لجلالته.. بنهاية هذه الشهر..أي نوفمبر الماضي).

وفي الرابع من ديسمبر من العام الماضي، تساءلت (أركيتكتس جورنال): هل سيخلق فوستر وحديد تماثيل في مكة؟

وتقول المجلة بأنها حققت إختراقاً في أكبر قصة معمارية لهذا العام، بإيرادها أخباراً تفيد بأن فوستر وشركاءه ومعماري زها حديد يعملون على أعظم التحديات اللوجستية والرمزية والقدسية على الأرض، ممثلاً في تطوير أهم مواقع الحج في الاسلام، أي مكة.

وتضيف المجلة بأن القصة طافت حول العالم، والتقطتها الصحف الوطنية، ومدوّنات لا حصر لها، وكذلك وكالات أخبارية. وتعلّق المجلة بأنه من النادر في الصحافة التجارية أن يكون لمثل هذه القصة هذا النوع من التأثير، ما يمنح صدقية لمراسلنا، ريتشارد وايت بأنه كان على الناس أن تحصل على معلوماتهم منا ـ فليس هناك أحد آخر من لديه هذا النوع من القدرة على الوصول لتلك المصادر.

تسترعي المجلة إهتمام القارىء بشأن اختيار المعماريين المقيمين في بريطانيا لتولي مهمة تطوير المواقع الإسلامية الأكثر أهمية، وتعتبر ذلك اعترافاً بالروابط التاريخية للمملكة المتحدة بالمنطقة. وتؤكّد، حسب زعم المجلة، شيئاً ما واضحاً حينما تسافر الى الشرق الأوسط: فهناك اعتقاد بأن المستشارين البريطانيين يجلبون النوعية، التميّز، والثقة لمشاريع الإعمار.

بيد أن ما تغفل المجلة عن ذكره أن الحديث لا يدور حول مشروع معماري، بل تتعلق بمسائل عديدة تراثية ودينية وسياسية، وليس هناك من يولي اهتماماً بما ستكون عليه مكة المكرمة، ولكن الأسئلة المطروحة ستكون لماذا تحوّل المشهد الديني والتراثي بهذه المدينة، ومن قام بفعل ذلك. وإذا كان أهل مكة والمسلمين عموماً يحمّلون آل سعود مسؤولية الدمار الذي لحق بآثار المدينتين المقدّستين، فإن تنفيذ مشروع توسعة بمشاركة مهندّسين ومعماريين أجانب سيدخل عنصراً جديداً الى دورة الاحتجاج المتصاعد ضد زوال الآثار التاريخية والدينية للمسلمين.

المشكلة في جوهرها تكمن في طبيعة مقاربة المتنافسين على مشاريع التوسعة من الأجانب. فأولئك الذين يتحدّثون عن التحديات التي تواجه فوستر وحديد في إبداع تصاميم يمكن لها أن تنافس تاج محل والحمراء يجهلون تماماً الأبعاد الأخرى، غير المعمارية. فهاهي استانبول تنعم بمئات المساجد بزخارف وتصاميم معمارية متميّزة، ولكنها تحوّلت إلى ما يشبه متاحف تاريخية، وتشير إلى حقبة زمنية عثمانية غابرة. الحال مختلف تماماً بالنسبة لمكة المكرمة، فهي ليست مجرد مكان يراد تطويره معمارياً، أو عمرانياً، بل هي قداسة المكان، وتاريخ أمة، وسيرة رسالة، ورمزية دينية، ومركز جاذبية روحية لأكثر من مليار مسلم..

أراد آل سعود تمرير مشروع التوسعة في مكة والمدينة بطريقة سريّة خشية إثارة المسلمين عموماً، ولكن الصحافة البريطانية كشفت المخطط

مايلفت الإنتباه، أن الحديث في الصحافة المحلية بعد أكثر من نصف عام عن تفاصيل مشروع التوسعة في مكة المكرمة جاء في سياق خبر آخر، أي تم تهريبه في خبر عن مشروع التوسعة في المدينة المنورة. وبطبيعة الحال، لم يأت على ذكر الشركات التي تقوم بتنفيذ المشروع، دع عنك هويات المهندسين والمعماريين. واكتفى الخبر الرسمي المعدّ بعناية بأن التوسعة تضمنت (نزع الملكيات وتعويض أصحابها وتطوير شبكات الخدمات والإنفاق والطرق. ويقف مشروع توسعة وعمارة المسجد الحرام معلما إسلاميا شامخا شاهدا على ما تقوم به المملكة من أعمال جليلة تهدف في مجملها إلى خدمة الإسلام والمسلمين). بالرغم من أن المعلم الإسلامي الشامخ سيتم هذه المرة على أيدي غير إسلامية، أي بريطانية وكندية، وربما يهودية!

الرواية الرسمية للتوسعة

بحسب الخبر الرسمي، فإن المساحة الإجمالية للتوسعة تبلغ ستة وسبعين ألف متر مربع وتتكون من بدروم سفلي وآخر علوي ودور أرضي ودور أول بالإضافة إلى السطح. وتشمل التوسعة، بحسب الخبر، ثمانية عشر مدخلاً عادياً بالإضافة إلى بوابة رئيسة أطلق عليها إسم بوابة الملك فهد وهي

مشابهة لبوابة الملك عبد العزيز كما شملت التوسعة مئذنتين مشابهتين للمآذن الموجودة سابقاً.

نشير هنا إلى أن الخبر اكتفى بذكر تفاصيل المرحلة الأولى من التوسعة، حيث تصبح بها المساحة الإجمالية للحرم المكي الشريف ٣٥٦ ألف متر مربع بما في ذلك الساحات المحيطة به والمخصصة للصلاة وكذلك السطح بعد أن كانت قبل ذلك ١٥٢ ألف متر مربع ليتسع لـ ٧٧٠ ألف مصل بعد أن كانت طاقته الاستيعابية قبل ذلك في حدود ٣٤٠ ألف مصل.

ويمكن أن تتضاعف طاقته الاستيعابية في أوقات الذروة كما أصبح مجموع المداخل العادية للحرم خمسة وأربعين مدخلاً بالإضافة إلى أربع بوابات رئيسة وعدد المآذن بالحرم تسع مآذن وعدد السلالم الكهربائية المتحركة سبعة سلالم بالإضافة إلى السلالم العادية. ولا يقتصر المشروع على إضافة هذا المبنى إلى مبنى الحرم الحالي فحسب وإنما اشتمل المشروع على تسوية وتوسعة الساحات المحيطة بالحرم لأداء الصلاة فيها إذ تم نزع ملكية العقارات الموجودة بها وإزالتها وتم رصفها بالبلاط الفاخر وإضاءتها بأبراج إنارة عالية وفرشها بالسجاد أوقات الذروة والمواسم وتزويدها بمكبرات الصوت ومياه زمزم المبردة وذلك لأداء الصلاة بها بدعوى تخفيف الازدحام داخل الحرم المكي الشريف.

وتبلغ المساحة الإجمالية لتلك الساحات أكثر من أربعين ألف متر مربع وتستوعب أكثر من خمسة وستين ألف مصل في الأيام العادية وتتضاعف في أيام الذروة. وتضمن المشروع إنشاء نفق السوق الصغير الذي يمتد من ميدان الشبيكة إلى أنفاق أجياد السد ويفصل حركة المشاة عن حركة السيارات أمام المنطقة الواقعة أمام بوابة الملك فهد وبوابة الملك عبد العزيز ليتمكن المصلون من الدخول والخروج من وإلى الحرم المكي الشريف إضافة إلى الاستفادة من الساحات لأداء الصلاة فيها. وتم الانتهاء من النفق الذي بلغت تكلفته الإجمالية أكثر من ستمائة وخمسين مليون ريال.

كما تضمنت التوسعة تنفيذ عبارات خراسانية في منطقة ما حول الحرم المكي الشريف يتم تنفيذها بشكل دائري لتمديد خدمات المرافق العامة بها من مياه وصرف صحي وهاتف وكهرباء وغير ذلك دون اللجوء إلى التكسير للحفاظ على جمال المنطقة حيث تقوم كل جهة بتمديد خدماتها عبر هذه العبارات الخراسانية الموجودة تحت الأرض.

في المرحلة الثانية من التوسعة سيتم إزالة المسجد القديم الذي بناه العباسيون والعثمانيون، ولن يتبقى من عملية الهدم سوى الكعبة

..وللمدينة نصيب من المسخ!

يبدو أن تسرّب أخبار مشروع التوسعة في مكة المكرمة إلى وسائل الاعلام الأجنبية بخلاف رغبة الملك عبد الله، قدجعله يستعجل الكشف عن المرحلة الثانية من التوسعة، والمخصّصة للمدينة المنورة. بالرغم من أن برامج التوسعة التي كشف النقاب عنها في نوفمبر الماضي تستوعب حكماً توسعة المسجد النبوي، إلا إن إخفاء أسرار المرحلة الثانية كان يستهدف استيعاب ردود الفعل إزاء مشروع التوسعة في مكة المكرمة، لما تضمنه من جرأة غير مسبوقة كونه يخترق أماكن قريبة من الحرم المكي، بل يمتد إلى داخل الحرم ولا يبقي سوى الكعبة، التي قد تتعرض للهدم بحجة التجديد!

وبعد تسرّب أخبار مشروع التوسعة الجديد في مكة المكرمة، مع ردود فعل غير ضاغطة، فإن العائلة المالكة ممثلة في الملك عبد الله قرّرت إطلاع وسائل إعلامها على مشروع التوسعة في المناطق المحيطة بالمسجد النبوي الشريف.

ونقلت الصحف المحلية في ١٠ يونيو الجاري خبر قرار الملك عبد الله بتوسعة المنطقة الشرقية والغربية للمسجد النبوي، بهدف فصل حركة المشاة عن حركة السيارات بالمنطقة الغربية، حسب زعم أمين منطقة المدينة المنورة عبد العزيز الحصين، وزيادة الطاقة الاستيعابية في الساحات والحرم النبوي الشريف. ويقول الحصين أن مساحة التوسعة ستصل إلى ٢٧٢,٤٠٥ متراً مربعاً، هذا دون منطقة الإجابة الواقعة شرق طريق الملك فيصل، حيث تعادل مساحة الخدمات والتطوير مساحة المنطقة المركزية.

رئيس المجلس البلدي في المدينة المنور، صلاح الردادي، كشف عن الصلة الوثيقة بين أعمال التوسعة الجديدة في مكة ونظيرتها في المدينة، وقال بأن (التوسعة الجديدة التي وافق خادم الحرمين الشريفين على تنفيذها في الناحية الشرقية والغربية للمسجد النبوي الشريف هي امتداد للأعمال الكبيرة التي خطتها حكومة المملكة لخدمة الاسلام والمسلمين وتوسعة الحرمين في مكة والمدينة..). وهو ما أكّده أيضاً نائب رئيس المجلس البلدي محمد أنور البكري، الذي قال بأن (هذه التوسعة تتوافق مع سياسة خادم الحرمين الملك عبدالله بن عبدالعزيز ورؤيته الحكيمة بأن تتاح الفرصة لأكبر عدد من المسلمين للقدوم لاداء مناسك الحج والزيارة، وتتوافق أيضًا مع المشاريع العملاقة التي تشهدها المشاعر المقدسة ومكة المكرمة، وهي تسير في نفس الاتجاه لتؤدي نفس الغرض).

وفيما يجري الحديث عن أن برامج التوسعة تستهدف زيادة الطاقة الاستيعابية لأعداد المعتمرين والزائرين، فإن هناك من رأى في اخفاء أخبار التوسعة دليلاً على أن الملك لم يشأ أن يتعرقل المشروع بفعل الاحتجاجات الشعبية الواسعة في العالم الاسلامي. ولو كان الأمر مقتصراً على الطاقة الاستيعابية لكان (بشارة) تزّف الى حجاج وزوّار بيت الله الحرام ومسجد رسوله، ولكنه يتغيا أهداف أخرى من بينها، بالطبع، العدوان على آثار الإسلام، وقد يأتي يوم تقدم فيه معاول الدمار على قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم، ويتم تنفيذ ما يضمره المتشدّدون من أتباع المدرسة الوهابية بإخراج القبر من المسجد، ثم تجريف مقبرة البقيع وتحويلها إلى ساحة عامة أو فندق سبعة نجوم!!

لا لن يوجّه أحد من المسلمين شكراً لحكومة آل سعود، كما تأمل الجهة التي أوصلت تقريرها الى وكالة الأنباء السعودية كي تنشره، لقيامها بأعمال الهدم لآثار المسلمين، ومحو منظّم لتراثهم، فتلك جريمة، وليست خدمة، وتلك خيانة وليست أمانة شرفوا بها، ومن العجب أن ينتظروا من مسلم ثناء وشكوراً على ما يقترفه آل سعود في بيت ربنا ومسجد نبيّنا، في مشهد مأساوي يذكّرنا بمشهد الجرافات الاسرائيلية التي تغرز أسنانها في تراث بيت المقدس.

أنفقت الحكومة السعودية، بحسب الأرقام المعلنة، ٧٠ مليار ريال خلال السنوات الأربع الماضية، ويخصّص الآن ٢٠ مليار لمشاريع التوسعة في مكة المكرمة، وأربعة مليارات وسبعمائة مليون ريال لمشروع توسعة المسجد النبوي، ويتضمن المشروعان عمليات هدم وإزالة للمناطق المحيطة بالحرمين الشريفين، ما يجعلهما مجرد مبنيين منفصلين عن البيئة التاريخية والدينية والاجتماعية والثقافية والحضارية اللذين وجدا فيهما. فيما يجري إستغلال المناطق المدمّرة لبناء عمارات سكنية، وأسواق تجارية، ومطاعم حديثة، مملوكة للأمراء ولا شأن لذلك لا بمعالم إسلامية، ولا خدمة ضيوف الرحمن، بقدر ماهي مشاريع استثمارية يوظّف فيها المقدّس.

(منشاب الأخبار وتذكرة الأخيار)

رحلة ابن الصباح الى مكة

عبدالهادي التازي

رحلة أندلسية طويلة، كتبها عبدالله بن الصباح الأصبحي الأندلسي (من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي) عنوانها: (منشاب الأخبار وتذكرة الأخيار) يؤكد ابن الصباح فيها على أنه يمني الأصل من ذرية أبرهة بن الصباح الذي يرد ذكره في تاريخ مكة.

أصل الرحلة مودع بدار المكتبة الوطنية بتونس تحت رقم ٢٢٨٥، وهي من ثلاث وسبعين ومائتي ورقة، وتوجد لها صورة بالخزانة العامة بالرباط رقم ١٨٧٤. ولم يتمكن الباحث من معرفة تاريخ بالضبط، على الرغم من تتبعه لغضون الرحلة عبر المراحل التي قطعها الرحالة، انطلاقاً من حديثه عن الأندلس، وملك بني الأحمر، ومروراً بسبتة وفاس ومراكش أيام مرين، وتلمسان أيام بني عبدالواد، وتونس أيام الحفصيين، ومصر أيام بقية المماليك.

كان ابن الصباح يقول عن غرناطة: ردّها الله دار إسلام(١). وكان يسأل الله أن يرزق الصبر للذين بقوا بالأندلس، مما يذكر بالنصيحة التي قدمها المغراوي (ت ٩٢٩هـ/ ١٥٢٣م)(٢). إلا أن الرحالة ابن الصباح يتحدث عن شخصيات لقيها، وعن إفادات سمعها، ترجع الى ما قبل هذا التاريخ. ومن هنا كان الباحث يعتقد أن نص (الرحلة) الذي يتحدث أحياناً عن ابن الصباح بقوله (رحمه الله) مكتوب من طرف موريسكي ثان؛ ولهذا فإن الباحث يذهب الى أن (الرحلة) التي بين أيدينا عملت فيها يدان اثنتان: أولاهما يد الرحالة ابن الصباح الذي يبدو أنه قام بالرحلة في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، ثم أتى بعده موريسكي آخر فنسخ الرحلة وتصرف فيها حسبما تجدد من أحداث في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

وبعد هذا فإن من الملاحظ أن أسلوب (الرحلة) كان هو الأسلوب الذي يوجد في أغلب المخطوطات الموريسكية الألخميادية(٣). وأيضاً من خلال قراءة بعض المقاطع التي تتعلق بمكة يمكن ملاحظة بعض التجاوزات اللغوية والنحوية التي لا تخفى على القارئ.

و(الرحلة) ذات فائدة كبيرة سواء على الصعيد التاريخي أو الإجتماعي. ومن الأفضل الإتيان بنصها كما هو، حرصاً على تبليغ الصورة كما هي.

بعد أن يتحدث ابن الصباح عن مروره بينبع للتزود بما يحتاج اليه من هذه السوق التي يوجد فيها حتى (لبن الطير) على حد تعبيره؛ وبعد أن يتحدث عن آلاف من المشاعل الكبرى التي تضيء الليل في وجه القاصدين، قويهم وضعيفهم، غنيهم وفقيرهم؛ وبعد أن يصف وسائل النقل والإتصال بما فيها الهوادج التي توفر الراحة للمسافرين وكأنهم في عرس، يعيشون في بيوتهم أكلاً وشرباً ومناماً، على نحو ما جاء في (رحلة) البلوي؛ وبعد الحديث عن رابغ والإشارة الى الفرق بين حج الإفراد والتمتع والقران، والى التجرد من المخيط من الثياب وارتداء لباس الإحرام والتزام النطق بالتلبية المطلوبة.. بعد كل هذا يتحدث عن وصوله الى مكة في فصل شديد الحرارة لم يحدد تاريخه بالضبط، وكأن التاريخ لا يهم ابن الصباح! وهو يقول بعد كل هذا وبأسلوبه التلقائي البسيط:

قال المؤلف: والله لقد أحرمت بالإفراد وكشفت رأسي، ما كان إلا ثلث النهار، ورأسي قد انتفخ من شدة الحرور، وكأنه قدْر الغرب من متاع(٤) الحمام حتى غطيت رأسي وفديته!

ثم نرحلوا (كذا!) الى بطن مر على بعد من مكة بثلاث مراحل، وندخلوا (كذا) مكة، شرفها الله، فمنهم الركب الأول يدخلها أولاً ليأتي من (مهل)(٥) في الجحفة، والغير الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس الى اليوم السابع يوم التروية، يوم الطلوع الى منى.

قال ابن الصباح: كل ما ذكرنا من مراحل برية الحجاز طروق (كذا) في واد بين جبال سود عالية مع السحاب حجارة بلا شجر ولا خضرة، الشجر الذي فيها بلا ورق!، ومن شدة الحر جبال مكة والحجاز مسيرة شهرين سود مثل الحريق، (تقول)(٦) الدخان جرى عليها والنار، بلاد حارة الشتاء والصيف كله فيها سواء، ودليل ذلك قوله عليه السلام: (من صبر على حرّ مكة وجوع المدينة ضمنت له على الله الجنة).

وبمثل الشعور الذي هيمن على الرحالين السابقين من أمثال العبدري وابن بطوطة، وهما يجدان أنفسهما في مكة المكرمة، في المسجد الحرام أمام الكعبة، على الرغم من كل المخاطر والأهوال التي تعترض سبل القاصدين الى ذرية إبراهيم الذين تهوي اليهم أفئدة الناس، بمثل ذلك الشعور يعبر هذا الموريسكي الذي يستحضر نعمة الله عليه بتمكينه من جوار هذا البيت الشامخ المنيف الذي كان منبع الخير والفضيلة بالنسبة للطائفين والركّع السجود.

قال ابن الصباح: (والله لقد دخلت مكة، شرفها الله، ونحن نطوف بالكعبة الشريفة، وهلّ علينا الهلال(٧) ونحن طائفون بالكعبة الشريفة فلله الحمد كثيراً كما هو أهله، والحمد لله الذي سلمنا من تلك المفاوز والقفار المهلكة والجبال الوحشة، كم من حاج ينتظرونه أهله وهو قد مات على عطش! وكم من سلكها ولم يبلغ حجه، وكم من أنفق ماله ولم ينله منها شيئاً (كذا) وكم من سلطان يتمنى النظر في تلك الكعبة الشريفة ولم يرها! وكم من أمير ووزير يريد المشي ولا يحمل، وكم من يريد وصلها بالمال ولا يصل لها، وكم من مذنب يريد أن يطهر ذنوبه بالوقوف على عرفه ولا يعطى، وكم من يتمنى الوصول اليها ولا يصل، وكم من واصل الى نصف الطريق ولم يبلغ، وكم من بلغ الى يوم منها ولم يبلغ! وكم من زعيم بماله

ورجاله ولم يصل! وكم من غني زعيم بغناه ولم ينفعه غناه! وكم من فقير آيس يبلغ! وكم من حقير حقر لفقره وبلغ مراده! وكم من أموال اكتسبت وجمعت بالقناطير المقنطرة ولم يبلغ صاحبها الموضع الشريف! وكم من قليل بلغ بالعناية من عند الله ولم يحتج الى مال ولا الى زاد، ولا الى ركوب إلا حملته العناية، ومن قال: ذلك الموضع لا يبلغ الا بالمال والجمال والزاد والرواحل، فقد نكر (كذا) نعمة الله وعنايته! بل الحامل هو الله سبحانه!).

قال المؤلف: بلغنا مكة والكعبة المشرفة وسلمنا عليها من باب بني شيبة المبارك علينا وعلى كل من رآه، ورأينا الكعبة وبكينا ولذلك تسمى ببكة؛ لأنها تبكي من نظر إليها، ولو كان قلبه مثل الحجر يبكي بلا خلاف، فنحن، لله الحمد، وصلنا بعناية الله وجاورنا بالحلال من بقية مال والدينا إذ كان مالاً حلالاً، وصلنا الى هذا المقام، وجاورنا وبلغنا المراد من الله سبحانه وتعالى، واطهرنا من الذنوب السالفة، خرجنا الى أبينا ودعونا كما وجب علينا... وأنه علينا نعم لا تحصى، فلله الحمد كثيراً، والشكر مادامت أرواحنا في أجسامنا، والروح والنفس تتمنى الى يوم يبعثون يوم البعث ويدخلون المؤمنون الجنة، ونتوسل بسيد الأولين والآخرين، بنبينا وشفيعنا محمد العربي القرشي الهاشمي العدناني، خير ولد إبراهيم الخليل وإسماعيل الصادق، وصاحب الوعد الجميل صلى الله عليه وسلم، مادام الداعون يدعون بالخير الى محمد وآل محمد بالصلاة والتسليم الى يوم الحشر والدين، صلاة تفوح مسكاً وتعبق عبقاً بريح طيبة الجنة والرضوان، مادامت الدقائق والساعات والأيام والجمع والشهور والسنون والأيام المباركة من الأعوام والدهور بعدد الشهور والحساب من جري الأيام، حتى يصير الناس فريق في الجنة وفريق في السعير.. صلاة متصلة برضاء الرب الكريم، والمولى العظيم، الى أن يحضروا سر حضرة القدس في الكرامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن اولئك رفيقا، آمين نحن وجميع المسلمين كافة، ويشفع بعضنا في بعض ويسلم بعضنا على بعض، في دار السلام وجنات النعيم، والحمد لله رب العالمين.

قال المؤلف: لما جاورت مدينة مكة المكرمة والكعبة الشريفة بيت الله الذي قامت عليه السموات والأرض على وجه الماء قبل الأرض، وبعد ذلك من تحته دحيت الأرض، ومن تحته خلق الله التربة الذي (كذا) خلق الله آدم منها، ومن تلك التربة خلق الله جميع ألوان التراب، وعلى هذه البيت الشريفة (كذا) دوران الفلك والشمس والقمر والنجوم والبروج المزينات التي تسير فيها الشمس وهي خوية؟ الأرض وعجائبها لا تنحصر، ولكن ذكرنا منها الاختصار.

وهذه صفات عرفة والمزدلفة، والمشعر الحرام، أعاد الله علينا وعلى المسلمين جميعا من بركاتهم(كذا).

وقد كان ابن الصباح يُعنى بالرسوم التي تقرب الصورة للذين لم يسعفهم الحظ بالوصول الى هذا الفضاء المليء بالكثير من المعاني والدلالات التي تظل بعيدة كل البعد عن الذين لم يدركوا الوصول الى الكعبة فظلوا شاردين تائهين.

ومن الأفضل نقل تلك الرسوم على ما هي في المخطوطة في ورقتها الثانية والعشرين بعد المائة (حرف أ وحرب باء ويلاحظ أن تنقيط الحروف يخضع للمصطلح المغربي).

والطريف في رسم الكعبة تضمينه اتجاه مختلف البلدان الى أركانها الربعة، وهو الصنيع الذي يذكر بالرسم الذي وضعه الصفاقسي في القرن نفسه (٩٨٥هـ/ ١٥٥١م) والذي يصاحب رسم الكعبة وعرفات.

قال عبدالله بن الصباح:

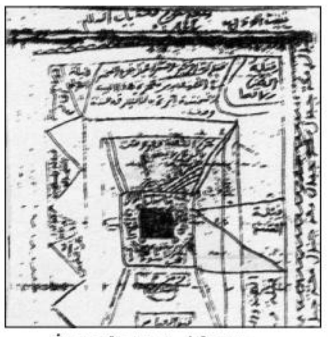
صوّرنا هذا البلد الأمين والكعبة الشريفة وحرمها المبارك ومناسكها المشهورة الشريفة كما تراها أيها القارئ والمستمع، فوجب علينا أن نذكر وننشر مفاخر هذا الذي صورناه، ونذكر فضائل هذه الجزيرة: الكعبة الشريفة وما أخصها الله على سائر البيوت في الأرض، وأعطى قاصدها من الجزاء، ومُجاورها بالكفاءة (كذا)، وما أعطى الله لهذا الحرم من الوفادة وأهله من الكفا... ولو نصف طول عمر نوح ما نبلغ ربع ولا ثمن الثمن من معجزاته الكرام.

ويستمر في حديثه عن مكة وما جاورها الى أن يعد المواقع الستة عشرة التي نعتها بالمناسك: جبل عرفة، المزدلفة، المشعر الحرام، الجمرات، منى، الكعبة، الحجر الأسود، الركن اليماني، الملتزم، حجر اسماعيل، مقام ابراهيم، بئر زمزم، الصفا، المروة، المسعى، التنعيم.

وفي معرض حديثه عن الحجر الأسود ردد قولة عمر بن الخطاب: والله إني لأعلم أنك حجر لا ينفع ولا يضر، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبّلك ما قبّلتك. قال المؤلف: شاهدت في وسطه قدر الدرهم من البياض، وهو مطوق بطوق من فضة بيضاء، طوّقه بها عبدالله بن الزبير، فهو اليوم يضيء ليلة الظلمة مثل نجمة الزهرة.

وفي معرض حديثه عن فضائل زمزم قال: (ولقد مرضت في هذا الحرم أول مجاورتي، وحلفت أن طوال ما يقضي الله لي بمجاورتي لا أشرب ماء غير ماء زمزم، فدخل يدي ونحل جسمي حتى لم يبقِ إلا الجلد على العظم، فحبسني ربي مألوماً ستة وأربعين يوماً حتى أشفاني الله، وطابت نفسي بالماء والهواء، وصرت نشربه غدوة وعشية وكل ساعة يخرج من البئر ساخناً كأنه اللبن.

ولما أراد ابن الصباح توديع (مكة) شربه بنيّة حفظ القرآن، قال: فحفظته... وشربته



رسم للكعبة في المخطوطة حرف (أ)

لتوقي العطش وسافرت في البراري أزماناً وماتوا وأنا لم نر بأساً.

وفي حديثه عن كسوة الكعبة قال: إنها الى بني شيبة من ذرية طلحة وعثمان الذين نزلت فيه الآية في مفاتيح الكعبة لما أخذه العباس منهم: قال تعالى: (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعمّا يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً)(٨).

وابن الصباح يتخذ الذراع والقدم والأصابع معياراً لتحديد المسافات، وهكذا حدد الكعبة على هذا الأساس منبّهاً الى أنه يقصد أذرع وأقدام وأصابع الرجال المتوسطين. وبهذه المناسبة يعود الى ما وقف عليه مما طرز على كساء الكعبة، والى ما يوجد على وجه الباب المبارك، والوجه الثاني والثالث، وكذا الوجه الرابع الذي يحمل

اسم سلطان ذلك الزمان والعام الذي كسا فيه البيت.

ومن المؤكد أن ابن الصباح كان من المحظوظين الذين دخلوا الكعبة، حيث يقدم وصفاً لها قائلاً: قال المؤلف الأصبحي: ارتفعت الكعبة من الأرض قدر طول الرجل، نطلع سبعة دروج من ألواح تنقل وترد، وباب الكعبة الشريفة متوسطة فيما بين مطلع الشمس في الشتاء والصيف، بابها من عود اليبانوز (الأبينوس) ملبس بالنحاس الصيني، مذهّب بماء الذهب، مغلق سائر الأيام إلا يوم الجمعة المباركة، يفتحونه بنو شيبة خدام البيت الحرام، يدخلونه الرجال، يركعون فيه. وداخله مفروش بالمرمر الملون، والحيطان بأنواع البلاط وألوان المرمر، عليها من داخل البيت حلة حمراء مرصعة من الحرير الأحمر، مرصعة بالذهب الملون، وأنواع فيها من الذهب على صورة سنبلة الصنوبر، وسقفها باللوح والمسمار، والسطح المبارك بجص الجير والرمل المحمّر، في السطح أربعة مضاوي (ثقوب لإدخال الضوء) مثل مضاوي الحمام، قدر كل واحد الأفل الأكبر، تعمل ضوءاً للبيت مثل النهار..الخ.

ويتحدث بعد هذا عن حبال أستار الكعبة وتوثيقها في رأس الحائط. ثم يصف ابن الصباح الميزاب في صفحة ١٣٢ من المخطوط بأنه من عود الأبينوس، وهو ملبس بالنحاس الصيني، مذهب بماء الذهب الأحمر، ويصب في مرمرة خضراء في حجر اسماعيل مثل قطر نهر الكوثر عند نزول المطر...

ويذكر أن طوله قدر ذراع بذراع الشرفاء الطويل، وهو يحكي أنه عندما تمطر السماء ترى المجاورين يقفون تحته يتبركون من الماء النازل من سطح البيت رجاء تطهيرهم من الذنوب.

ويؤكد مرة أخرى أنه عاجز عن وصف فضائل البيت، وهنا يروي حديث ابن عباس رضي الله عنه عن أن الصلاة في هذا المسجد تعدل مئة ألف صلاة في غيره، وأنه كان يقول أيضاً: إنه، كما تضاعف فيه الحسنات، تضاعف فيه السيئات. ومن هنا كان ابن عباس يفضل ألا يسكن مكة ويختار المقام بالطائف، حيث يوجد قبره اليوم وعليه مقام عظيم.

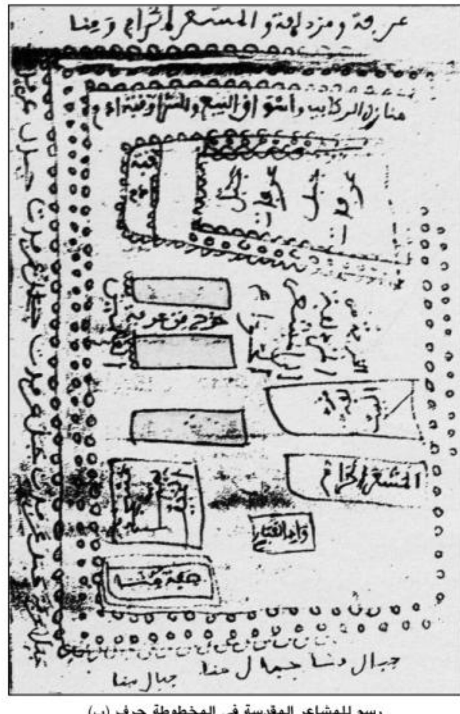
ويخلص بعد هذا للحديث مرة أخرى عن تعداد المناسك الستة عشر السالفة الذكر.

وبما أنه قضى السنة مجاوراً، فقد عاش في مكة أيام رمضان وما أدراك ما رمضان بمكة! وهكذا يتحدث عن التراويح وختم القرآن في ليلة القدر.

ولم يتأخر ابن الصباح، هو الآخر، عن كيل الحرم الشريف طولاً وعرضاً بالخطوات، كما عدد سواري الحرم وأبوابه.

ويتحدث ابن الصباح عن ظاهرة لاتزال شاهدة الى اليوم، وهي إقبال بعض الحجاج على شراء أكفانهم التي يبللونها بماء زمزم محتفظين بها الى وقت الحاجة.

ومن طيبة أخلاقه أنه، وقد قضى كما قلنا عاماً بكامله في مكة المكرمة، وعلى نحو ما قام به وهو في طريقه الى مكة من مدح الجهات التي مر بها... الأندلس، سبتة، مراكش، فاس، تلمسان، تونس، مصر... على نحو ذلك خصص جانباً من مذكراته لأهل مكة رجالاً ونساء، الذين قال عنهم: (وأكثرهم - جزاهم الله عنا خيراً - رجالاً ونساء، ما أحسنهم وجوهاً! وأحسنهم كلاماً! وما أضبطهم عادة وسيرة حسنة، ومن سيرتهم الحسنة أنه لا يدخل أحدٌ منهم الطواف إلا بشيء يتصدق به ويزكيه بعد طوافه، وكذلك نساؤهم، وطوافهم عند غروب الشمس بين المغرب والعشاء الآخرة يدخلون الطواف بأثواب حسان، الغالب عليها الأزرق، مزينين بالحلي والخلاخل من الفضة ومقابيس الذهب هم واولادهم الصغار).



رسم للمشاعر المقدسة في المخطوطة حرف (ب)

وابن الصباح يشكر الله على أنه قام بهذه الحجة من مال حلال - على ما سلف - ميراث الأبوين المرحومين، وأنه وقف على عرفة وقفتين واعتمر إحدى عشرة عمرة، ودخل الكعبة على عدد الجمعات في السنة يدخل الرجال ثم النساء حيث يركع كل واحد بما يشاء، كل جمعة آليت على نفسي الطهور في زمزم والدخول الى داخل الكعبة نصلي داخلها كل جمعة عشرة ركعات، ثمانية واربعين جمعة (كذا)، وآليت على نفسي الطواف في كل يوم وليلة اثنان وثلاثون اسبوعاً (كذا) في كل أسبوع سبعة أشواط، ولكل طواف ركعتان خلف مقام إبراهيم الخليل.

وسيراً على النهج الذي سلكه قبل أن يصل الى مكة من وصفه الأقاليم التي مر بها، قام بتقديم وصفه للإقليم المبارك الذي أطيب بلده مكة فيقول: هي موضع بلا زرع ولا حرث إلا ما يجلب إليها من بلاد بعيدة على مسيرة ثلاثة أيام، وأكثر عيشها من التمر والإبل والنخل. وبعد أن يبرز أهمية الإقليم كَسُرَّة للارض كلها، وينعت الحرم بأنه يشبه العروس تتجلى في حليها، يتخلص لتاريخ مكة مذكراً بدور الأشراف في القيام بشأنها والسهر عليها ذاكراً اسم الشريف أحمد بن عجلان (ت ٧٨٨هـ/ ١٣٨٦م)(٩) مشيداً بالحشد الكبير من الأشراف الشجعان العربان أهل مكة الأبطال الأشداء الكرماء الفصحاء.

ويخصص ابن الصباح حيّزاً لمدينة الطائف (مرقد عبدالله بن عباس رضي الله

عنه) الكثير المياه والشجر والفواكه التي تمد مكة بخيراتها على مرّ الفصول.

ويتحدث عن بجيلة وزهــران، أقــوام صالحين لا يعلمون عدداً ولا حساباً ولا الشر ولا الخير، لباسهم جلود المعز المدبوغ يدبغونه بالعروق الطيبة، له رائحة طيبة، وحبالهم من حلفة المسد. يسوقونها الى مكة للآبار والدلو ولخروج الماء من الآبــار، لأن مكة ما لها ماء إلا من الآبـار، كل بئر طوله وعمقه أربع وعشرون قامة! رطلهم ست أواق، وكيلهم موافق، ودرهمهم فضة، وصرفهم فضة وذهب وفلوس، عيشهم الغالب لحوم الجمال، وإدامهم أكثره السمن، والغالب عليهم تمر العجوة يخزنونه ويدسونه مثل دسّ التين، له حلاوة مثل العسل فارحون بأوطانهم، وكذلك جميع البلاد والأوطان في عيون أهلها جنة!

وبعض حديث ابن الصباح عن اليمن وعن العلاقة بينه وبين مكة في الخلقة والسحنة والفكر والفصاحة والعفة واللين والشفقة على الغريب. وابن الصباح يميز بين اليمنيين والمكيين في طبيعة سرعة الغضب، إذ ينسب الى هؤلاء أنهم يغضبون بخلاف أهل اليمن! وهو يعلل ذلك بأن أهل مكة من ذرية إسماعيل آل عدنان، وأهل اليمن من حمير آل قحطان، فأهل اليمن من العرب العاربة، وأهل مكة من العرب المستعربة، وأهل اليمن أخوال أهل مكة.

وقد تخلص ابن الصباح بعد هذا الى التعريف بأصوله اليمنية الأولى، حيث ذكر أنه من آل الصباح، جاء أجداده من بلدة سبأ المتصلة ببلاد مأرب، فيهم ملوك بني صالح الأصبحيون الكرام، إثنان من الأخوة محمد وأحمد ملوك الزمـان.... بلاد الصباح منها ابرهة بن الصباح صاحب الفيل والفارس المشهور بالفروسية والشجاعة في جميع الكتب الى اليوم.

وبعد الكثير من الإشادة بالملك الصباحي يقول: لكن أيــام السعادة مكتوبة مؤجلة مختومة في اللوح المحفوظ مخطوطة!

وهنا يتخلص الى ذكر أخباره مع الملك الحبشي والتي انتهت بقيادة الجيوش الحبشية ومن معها من عرب اليمن الى مكة التي كان فيها آل عبدالمطلب، حيث كانت مصارعهم وانتصر أهل مكة.

قال ابن الصباح: وهؤلاء الصباحيون او الأصباحيون هم اليوم ملوك تهامة ومشايخ عرب البادية والجبال، كلهم من ذرية قيسوم بن أبرهة بن الصباح، انتشروا في المشرق والأندلس والمغرب.

ويختم الباحث إفـادات ابن الصباح عن مكة المكرمة وما يتصل بها بما استطرد به من ذكرها في أماكن أخرى. وهكذا فبمناسبة حديث لـه (ص ٢٥) عن الأواني الصينية الرفيعة قال: إنه رآها بحرم مكة بأغلى ثمن، وأنه سأل أهل مكة عن سبب غلاها، إذ كانت القطعة الواحدة منها بخمسين درهماً، وهنا ما يبلغ الدينار..الخ. فأجابوه: إن من خصائص هذه الصحون أنها تقاوم السموم، فإذا وضعت مادة سامة فيها تكسرت لحالها! ولذلك كانت أثمانها غالية وهـي بين لون أخضر أو سماوي.

وفي معرض حديث عن الصرامة في الحكم يتحدث عن صرامة العثمانيين قال: إنه ليلة خروجة من جبل عرفة والتحاقه بمنى لم يذق للنوم طعماً لكثرة اللصوص والجبالصة، وهو يرمي الجمرات أيضاً حيث كان مهدداً بالسراق، قال: فتجب الغلظة إذن في الأحكام مع هؤلاء الظلام، يعني على نحو الحال عند العثمانيين الذين أخذوا في فرض هيمنتهم على المنطقة.

الهوامش

سلمت غرناطة بمقتضى الإتفاق يوم ١٤٩٢/١/٢م/ ٨٩٧/٣/٢هـــــ انظر عبدالهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، جـ ٧، ص ٣٢١.

عبدالهادي التـازي، المغراوي وفكره التربوي، نشر مكتبة التربية العربية لدول الخليج ١٩٨٦م. وايضاً التاريخ الدبلوماسي للمغرب، جـ٨، ص ١٣٠

الحسين بوزينب، تقييم للكتابات الأعجمية الموريسكية، مجلة دار النيابة، السنة ٢، العدد السادس (١٩٨٥) طنجة اللغة الموريسكية المسماة بالعجمية ضمن أعمال البحث اللساني والسيميائي، الدار البيضاء: ١٩٨١م. القيمة الحقيقية للرموز الخطية في الأدب الأعجمي ضمن أعمال الأدب الإلخاميات الموريسكية، تونس ١٩٨٦م؛ الدين واللغة من خلال المكتوبات العجمية الموريسكية، بحث مقدم الى المؤتمر العالمي الثاني للدراسات الموريسكية، تونس ١٩٨٣م؛ محمد رزوق، مختصر رحلة الشهاب الى لقاء الأحباب للحجير الأندلسي أفوقاي (الدار البيضاء: كلية الآداب ١٩٨٧م).

متاع في الإصطلاح المغربي تعني: ديالك أو تبعك، والغرب: القب.

يلاحظ (مهل) عوض (محل)، لأن الجانب لا ينطقون الحاء يبدّلونها هاء.

(تقول) بالدارجة الأندلسية المغربية تعني كأن أو مثل أو شبه.

إحدى صفحات مخطوطة رحلة ابن الصباح

لم يتمكن الباحث من معرفة التاريخ الذي تمت فيه الرحلة.

سورة النساء، الآية ٥٨

هل يمكن أن يفهم من هذا أن الرحلة تمت في أيام عجلان (٧٧٧-٧٨٨هـ): اي في القرن الثامن الهجري؟ وقد علمنا ان ابن الصباح كان يقول عن غرناطة: ردّها الله دار إسلام، وهذا إنما سلمت غرناطة عام ٨٨٧هـ/١٤٩٢م.

الليبرالية السعودية : من التسول الى التوسل

د. مضاوي الرشيد

كغيرها من التيارات السياسية الموجودة على الساحة السعودية بدأت الليبرالية السعودية حياتها بخطاب التسول وعرائض تطالب ببعض الاصلاحات، ومنها تأسيس مجلس الشورى واصلاح القضاء والمساواة الاجتماعية وحرية الصحافة ومشاركة المرأة في الحياة العامة. وجاءت العريضة الاصلاحية عام ١٩٩١ لتتوج فكرتهم وطموحاتهم ورغم ان عرائض أخرى قدمتها تيارات خالفتهم في اطروحاتها ومنهجها إلاّ أن الليبرالية السعودية دخلت حينها مرحلة انتظار زادت عن عقد كامل وجاءت فرصتها الذهبية بعد عام ٢٠٠١ حيث اشتد ساعدها بمؤازرة الدولة التي فتحت لها المجال للبروز الاعلامي ووفرت لها المنابر في الداخل والخارج واصبحت ذراعاً للسلطة في حروبها الكثيرة التي تلت مرحلة انفجار العنف على الساحة السعودية.

فمن قنوات فضائية الى مواقع افتراضية مروراً بمناصب عالية في الدولة استطاع هذا التيار أن يتبوأ مكاناً مميزاً في حضن الدولة يستطيع من خلاله ايصال افكاره الى جمهور عريض خاصة وأنه لا يتمتع بالمنابر التقليدية التي احتكرت من قبل الآخرين على الخريطة السياسية السعودية. وانتقل هؤلاء من مرحلة التقية والمواربة في الخطاب السياسي واستحضار مفردات تنفي عنهم هويتهم الحقيقية الى مرحلة علنية يستحضرون فيها فكرهم وتوجهاتهم دون مواربة او تمييع حتى انهم وجدوا في مواقع الانترنت المحمية مكاناً آمناً يستطيعون من خلاله اسقاط مصطلح الليبرالية على انفسهم وفكرهم بعد أن زالت المخاطر السابقة وعملية الاقصاء التي مارسها ضدهم من خالف مشروعهم وتوجهاتهم.

ونعتقد اليوم ان هذا التيار قد خرج من مرحلة التسول السابقة من خلال تفعيل البيانات والعرائض الى مرحلة التوسل للقيادة، عن طريق شن هجمات عنيفة على معارضي الدولة من تيارات سياسية أخرى مروراً بأشخاص ينتقدون النظام في الداخل والخارج ولا يصفقون لمشروعهم الذي تنقصه الليبرالية الحقيقية كما عرفتها الشعوب التي افرزت هذا الفكر ومارسته في حياتها السياسية والاجتماعية.

يتوسل الليبرالي اليوم الى السلطة ويقترب منها إذ أنه يتبنى مشروعها في اللحظة التاريخية الحالية فهو يعادي من عاداها ويهيم بمن تهيم به ويظهر ذلك من خلال الخطاب الاعلامي لاعلام الليبرالية السعودية المنبر المتاح لمثل هذا الخطاب والممول من قبل رموز معروفة في الهرم السياسي.

تؤمن الليبرالية السعودية بفكر المخلص الذي تعتقد أنه سينتشلها من هامشيتها في المجتمع

تؤمن الليبرالية السعودية بفكر المخلص الذي أتى في المرحلة الحالية أو سيأتي في المستقبل لينتشلها من هامشيتها في المجتمع وسيكبح جماح من ينافسها بل سيقضي على مؤسساته ويقلم أظافرها لتحكم سيطرتها على فكر وممارسة النظام. وهي تنتظر ان يقوم المخلص بعملية تمشيط للحقل الاجتماعي والديني اشبه ما تكون بعملية استئصالية تنتزع الورم الخبيث الذي نما وترعرع في حضن السلطة لاسباب تاريخية قديمة. وبينما هي تعيش حالة انتظار صعبة وربما طويلة نجدها تنغمس في عملية جلد دائمة ومستمرة للمجتمع وتياراته التي تقف في طريق مشروعها مستعينة بمصطلحات التصنيف التي تخترعها وتسقطها على اعدائها واعداء النظام حسب لائحة طويلة.



د. مضاوي الرشيد

تتمرس هذه الليبرالية في استعمال اللغة والاسماء التي تستحضر العنف الفكري واللغوي دون أن ترفع السلاح كما فعلت تيارات أخرى في معركتها مع النظام لتنزع الشرعية عن تيارات سياسية لم تقبل بمشروعها. فالقومجي والاخونجي والصحونجي مرادفات لها خلفيات أعجمية ودلالات تخرج هذه التيارات من الحيز المحلي العربي وتصبح ملتصقة بما هو خارج عن نطاق المجتمع والبيئة المحلية. هذا العنف اللغوي يجعلها تضرب عصفورين بحجر واحد.

فمن جهة يستحضر المصطلح ماهية الهجين الداخل ومن جهة أخرى يستحضر فزاعة الايديولوجية القاسية المسقطة على واقع متغير بالاضافة الى عدم المرونة الصارمة. فما أسهل أن تسقط الليبرالية السعودية قاموس مصطلحاتها في عملية هدفها الأول والأخير التنصنيف الهادف الى تشريح الساحة السياسية والحجر على معارضيها. وهو نفس الاسلوب الذي تعتمده التيارات المنافسة مع الليبرالية ذاتها.

وتدعي الليبرالية انها ترفض عملية الفرز التي كانت في السابق تمارسها عليها هذه التيارات. وتدخل الليبرالية السعودية في مأزق عندما يصعب عليها فرز بعض الشخصيات التي لا يمكن تأطيرها تحت مصطلحات الليبرالية العنيفة. فتأخذ على البعض أيديولوجيتهم وتبحث جاهدة عن أيديولوجية للبعض الآخر الذي لم تفهم موقفه أو فكره. ويبدو هذا واضحاً وجلياً في موقفها المعادي لكل من يرفض اسلوب التسول والتوسل للسلطة السياسية أو يرفض الانخراط في حروب السلطة الآنية والتي تتغير وفق متطلبات المرحلة التاريخية.

من مآخذ الليبرالية على هذه الشخصيات هي كونها رافضة لمبدأ البوق الذي يقرع طبول الحرب بعد كل ضوء أخضر تشعله القيادة لأسبابها الخاصة واحتياجاتها وتطفئه إذا زالت الأسباب. فهي مستعدة لأن تتراجع عن مصطلحاتها التصنيفية السابقة تجاه معارضيها بمرونة بهلوانية وقفز جريء على المواقف السابقة في سبيل ايجاد منافذ ومخارج للنظام تحفظ ماء الوجه ولا تحرجها في سياسته الداخلية والخارجية. وان كانت السعودية تفتخر بمشروعها المركزي التوحيدي بمساعدة ما يسمى بجند التوحيد سابقاً فهي اليوم قد ساهمت بإنشاء مجندين جدد يتنافسون على الدفاع عنها في دهاليز الاعلام والصحافة يعتقدون انهم سيحسبون على الليبرالية أو هكذا يسمون أنفسهم.

ومن الاجدر أن يستحضروا مفهوم الليبرالية المتسولة والمتوسلة من أجل الدقة اللغوية والعلمية لوصف تيار ناشئ له صفاته المحلية التي فرضتها الحالة السياسية في المملكة. ومن باب التوسل الحاصل منذ أكثر من عقد نجد أن هذا التيار قد حصر معركته في محاور محددة. منها ما هو متعلق بالمجتمع كتركيبته الدينية أو الاجتماعية والمؤسسات التي هي بالدرجة الأولى من انتاج السلطة التي يستميتون في الدفاع عنها حالياً. ويعتبرون كل من لم ينخرط في هذه المعارك المحدودة مستحضراً مصطلحاتهم المعروفة عدواً لدوداً يتربص بالدولة والأمن والسلام. واستطاع هؤلاء أن يوزعوا الأدوار على بعضهم البعض فمنهم من هو متخصص برصد المجال الديني وتتبع تطوره وتجاوزاته ومنهم من نذر نفسه مدافعاً عن حقوق المرأة ومنهم من تخصص في تشريح النسيج القبلي وادانته ومنهم من استمات في الدفاع عن سياسة النظام الخارجية ومنهم من بقي في مرتبة المشاة المنتظرين قضية جديدة يثيرها عندما تتاح الفرصة. وكلهم يتبنى النقد المتسول

الليبراليون نموا في حضن السلطة وبعضهم راح يشن هجمات عنيفة على معارضي الدولة من تيارات سياسية أخرى

وينتظر المخلص ليفاجئهم بقرارات ومكارم وتوصيات وأوامر سامية.

وان بحثنا عن شخصية فذة قادرة على صياغة تصور جريء للمستقبل السياسي والاصلاح الحقيقي فلن نجد إلا اجتراراً لمواقف قديمة تجاوزتها التحولات التاريخية. يرفضون القبلية ويمارسون الحب المفرط تجاه حكم المشيخة الحالي ويعادون المناطقية وهم مفرطون في إقصائيتهم للآخر وتمجيدهم لفلكلورهم المحلي يعترضون على تصنيفات معارضيهم وهم من يبتكر مصطلحات التصنيف التي لم يسلم منها أحد.

إنهم ينكرون الأيديولوجية على الآخرين ولا ينتبهون لايديولوجية التوسل والتسول المتأصلة في فكرهم وممارستهم. وان لم يجدوا ايديولوجية متحجرة عند معارضيهم تسمح لهم بممارسة تصنيفاتهم الجاهزة وزعوا التهم يميناً وشمالاً واستحضروا التكهن بخبايا هؤلاء وخفايا أجندتهم التي هم في طور اكتشافها. علاقة الليبرالية السعودية مع السلطة جعلتهم يدخلون في علاقة متشنجة مع المجتمع وأطيافه المختلفة والمتباينة ومن الصعب عليهم أن يخرجوا من حالة التشنج طالما أنهم غير مستعدين للنظر والتمحيص في حالة التذبذب التي يفرضها المشروع السياسي للسلطة فلا يمكن أن تتطور هذه الليبرالية طالما أنها تحصر المعركة مع المجتمع وتعتبر سلطة المخلص هي الحل الوحيد لمشاكل البلد العالقة، والتي تنتج أولاً واخيراً عن حالة التخلف المزعومة. عندما تدين الليبرالية السعودية المجتمع وتنزه المسؤولين الكبار فهي تدخل في مأزق فكري ومعضلة تحليل للواقع يكون منطقياً ومقنعاً.

عندما تنفي الترابط بين إفرازات المجتمع والسلطة السياسية هي توهم نفسها بأنها تواجه حالة انفصال حيث يوجد مجتمع يدور حول ذاته ويعاني من ترسبات تاريخية وفكرية دون أن تكون للسلطة مسؤولية في تغذية هذه الترسبات بل حتى التعجيل في تبلورها. ونحن هنا نتحدث عن سلطة مركزية وليس دولة ضعيفة أو فقيرة. وطالما تجاهلت الليبرالية السعودية الدور المحوري الذي لعبته السلطة في إفراز ما تعترض عليه هذه الليبرالية طالما ظلت تعمل بمبدأ التوسل والتسول وتمارس غوغائية فكرية قاصرة على فهم صريح وواضح للمعضلة أو المعضلات التي تواجه السعودية اليوم. عندها فقط تخرج هذه الليبرالية من مرحلة النفاق الفكري الى مرحلة مواجهة الواقع دون انتظار المخلص المرجو.

عن القدس العربي، ٢٠٠٩/٥/١٨

٣٠٠٠ سعودية تقود السيارة رغم الرفض الرسمي

الجدل مجدداً حول شرعية وفائدة الرياضة للنساء!

هاشم عبد الستار

سمتهم صحيفة الوطن السعودية (٢٠٠٩/٦/٢) في تقرير لها بـ (سيدات أرامكو) اللاتي يقدن سياراتهن في حي أرامكو الذي هو خارج إطار سيطرة الدولة! وتجري عليه قوانين غير قوانين الدولة! رغم أن معظم سكانه هم من السعوديين!

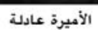
افتتحت الصحيفة تقريرها حول هؤلاء السعوديات بعبارات مثيرة تقول: (لا تندهش حين تمرّ من جانبك سيارة تقودها سيدة سعودية محجبة بمهارة، وتلتزم أكثر منك عند الإشارة الضوئية، وتوقف سيارتها بسلاسة وبراعة في مواقف مستشفى أو مدرسة أو مركز تسوّق.. فقط تذكر أنك داخل الحي السكني الخاص بشركة أرامكو بالظهران. ففي داخل حرم أرامكو تعيش "سعوديات أرامكو" واقعاً مختلفاً تماماً عن الواقع السائد. وسيدات أرامكو هن بعض موظفات الشركة وزوجات كبار الموظفين. في الحيّ السكني المغلق حياة اجتماعية مختلفة عن الحياة الاجتماعية في الأحياء السكنية السعودية).

وقدرت الصحيفة وجود ثلاثة آلاف سيدة يقدن سياراتهن ويذهبن لأعمالهن ويوصلن أبناءهن إلى المدارس. وقد ساهمت الأنظمة الصارمة بإدارة شركة أرامكو في جعل قيادة المرأة مشروعاً ناجحاً دون عوائق، وأصبح بإمكان المرأة قيادة السيارة والتدريب على قياداتها بموافقة ولي أمرها وسط بيئة اجتماعية آمنة لاسيما أن عدداً كبيراً من هؤلاء النساء يعتبرن موظفات بمناصب قيادية كبرى في شركة أرامكو السعودية.

من جهته أكد الشيخ عبدالله المطلق، القاضي السابق، أنه لا يوجد مسوغ شرعي يمنع المرأة من قيادة السيارة، مؤكداً أنه يعد دراسة متكاملة يمكن بموجبها السماح للمرأة بقيادة السيارة، وأوضح أن هذه الدراسة تأتي من أجل درء المفسدة للسائق الأجنبي في المجتمع السعودي. ودعا إلى السماح للمرأة بقيادة السيارة عاجلا، لا سيما أن المرأة في الضواحي والقرى تقود السيارة منذ عقود من الزمن ولم تسجل على نساء أهل القرى ممن يمارسن القيادة أي مشاكل على الإطلاق، بل كسبن الاحترام بشجاعتهن واحترامهن للأنظمة المرورية، بما يفوق احترام الرجال لقوانين السير والمرور، وهناك سيدات يملكن سيارات باسمهن. وأشار إلى أن السائق الأجنبي رصد عليه الكثير من الملاحظات، أما (العادات والتقاليد في مجتمعنا فيجب أن لا تحكمنا على الإطلاق). ودعا المطلق إلى إطلاق حملة توعوية للشباب باحترام الفتيات أثناء القيادة حتى يتأقلم الجميع ويصبح الأمر عادياً على حد قوله.

وعلى صعيد آخر، فإن أعلى ما وصل اليه الجدل الإجتماعي في السعودية لازال يدور حول إمكانية المرأة من ممارسة الرياضة، وهل يجوز لها ذلك أم لا؟! ما يشي بأن سقف النشاط في البلاد المحكومة وهابياً لازال في الحضيض.

ابنة الملك عبدالله الأميرة عادلة (زوجة وزير التربية والتعليم) دخلت على الخط، وطالبت بضرورة الإسراع باعتماد الرياضة البدنية في مدارس البنات بالتعليم الأهلي والعام. وقالت (لصحيفة الرياض ٢٠٠٩/٦/١١) بأن الوقت حان لهذا الأمر خاصة مع ازدياد الأمراض المرتبطة بالسمنة التي تصيب نسبة عالية من الفتيات والسيدات.



الأميرة عادلة

عضو هيئة كبار العلماء علي عباس الحكمي قال بأن ممارسة المرأة للرياضة جائزة! واشترط في الجواز (إذا قصد بها الحفاظ على الصحة وزيادة النشاط وترويض الجسم)! وكأنه يريد القول بأن هناك مقاصد غير هذه قد يأتي منها التحريم. وسار على نهج الشيخ المنيع فحدد ضوابط لممارسة الرياضة والإبتعاد عن المحظورات، ومن بينها الإختلاط، وكشف العورة، والإبتعاد عن مواطن الشبهة. وأكد الحكمي بأن أصل الموضوع الإباحة (بل تصل أحياناً الى أن تصبح ممارسة المرأة للرياضة أمراً مندوباً ومستحباً إذا كان يساهم في تنشيط جسمها ووقايتها من الأمراض). ولم يرَ الحكمي مانعاً من افتتاح نواد نسائية للرياضة مع الالتزام بالضوابط الشرعية.

غير أن مثل هذه التصريحات والآراء لم تعجب كثير من المتشددين الوهابيين، فقد علق مجهولون ينتمون الى هؤلاء لافتة كبيرة تعارض اقامة أندية رياضية نسائية عنونوها بـ (لا للأندية النسائية) ولم تحمل اللافتة اسم الجهة التي تقف وراءها (الوطن ٢٠٠٩/٥/١٦).



السواقة في حي أرامكو

اللافتة كانت كبيرة تزيد مساحتها عن ٦ أمتار مربعة، وضعت في مكان يمر به ممارسو رياضة المشي خاصة السيدات، واحتوت على صورة لكرة قدم مشطوبة بعلامة (إكس) وبجوارها عبارة (لا للأندية النسائية) وعنونت اللافتة باسم حملة (حياتي دثاري) و(الحملة الوطنية لمواجهة الأفكار الضالة والتيارات التغريبية).

وكان أعضاء في مجلس الشورى قد طالبوا بإلزام الرئاسة العامة لرعاية الشباب بإنشاء أندية



يافطة ضد أندية نسائية للرياضة

نسائية، خاصة وان القرار صدر بانشائها منذ مدة طويلة ولكن لم يتم التطبيق.

وتشعر الحكومة السعودية بوطء الضغوط عليها من قبل الخارج الذي يريد ان يرى المزيد من التسامح مع المرأة، ويتوازى مع هذه الضغوط ضغط داخلي من قبل شرائح في المجتمع السعودي تأمل في توسيع هامش الحريات الإجتماعية على الأقل، طالما أن التغيير السياسي موصد بأبواب حديدية. لكن هناك من يعتقد بأن التسامح في الحياة الإجتماعية قد يؤدي الى صدام بين التيار السلفي بشقيه التقليدي والصحوي مع العائلة المالكة التي تحاول تفادي ذلك.

وجوه حجازية

(١)
تاج الدين ابن يعقوب
(... - ١٠٦٦هـ)

هو تاج الدين بن أحمد بن ابراهيم بن تاج الدين بن محمد، ويعرف بابن يعقوب. ولد بمكة المكرمة وبها نشأ، وكان بها من صدور الخطباء والمدرسين ومن أكابر العلماء في عصره. أخذ عن أكابر شيوخ عصره كعبدالقادر الطبري، وعبدالملك العصامي، وخالد المغربي المالكي، وغيرهم. وأجازه عامة شيوخه، وتصدر للتدريس بالمسجد الحرام، وأخذ عنه ابنه أحمد وأبو سالم العياشي وغيرهما. تولى قضاء مكة المكرمة، وكان أديباً شاعراً وتوفي رحمه الله بمكة المكرمة.

له: فتاوى جمعها ولده أحمد باسم تاج المجاميع، ديوان خطب، شرح قصيدة العفيف التلمساني التي أولها (إذا كنت بعد الصحو في المحو سيداً) سمّاها (تطبيق المحو بعد الصحو على قواعد الشريعة والنحو)، رسالة في الإستغفار (فصوص الأدلة والمحققة في نصوص الإستغفار المطلقة)، الجادّة القويمة الى تحقيق مسألة الوجود وتعلق القدرة القديمة، بيان التصديق في العقائد، تذكرة في التاريخ(١).

(٢)
أبو بكر زرعة
(... - ١٢٦٢هـ)

هو ابو بكر بن عبدالوهاب زرعة المكي الحنفي. ولد بمكة المكرمة ونشأ بها، وأخذ على مشائخ عصره، وكان جل أخذه عن الشيخ عمر عبدالرسول، أخذ عنه في الفقه والحديث والسيرة وغيرها. جاء ختمه ضمن أختام خطباء ومدرسي المسجد الحرام في ورقة كبيرة، مما يدل على أنه كان من خطباء وأئمة المسجد الحرام ومدرسيه في عصره. وذكره أبو الخير في نشره انه ولّي مشيخة الخطباء والأئمة. توفي رحمه الله بمكة المكرمة.

له: رسالة تتعلق بالأوقاف السلطانية، ورسالة تتعلق بما قيل (إن المعدة بيت الداء)، وديوان شعر، مناقب شيخه عمر بن عبد الرسول(٢).

(٣)
حسن الإدريسي
(١٢٩٩هـ - ...)

حسن بن علي بن محمد بن أحمد بن إدريس الإدريسي. ولد بصبيا، ونشأ بحجر والده وقرأ القرآن الكريم عليه، ثم على أخيه، ثم على الشيخ الضبي، وأخذ عن الشيخ سالم بن عبدالرحمن باصهي، ولازمه برهة من الزمن وتفقه به. تولى إمارة تهامة من سنة ١٣٤٤هـ الى سنة ١٣٥١م، وخرج منها وقدم مكة المكرمة واختار الإقامة فيها(٣).

(١) عبدالله مرداد ابو الخير، مختصر نشر النور والزهر، ص ١٤٦. ومحمد المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، جـ١، ص ٤٥٧. وخير الدين الزركلي، الأعلام، جـ٢، ص ٦٢. وعمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، جـ٣، ص ٨٧. وعلي ابن معصوم، سلافة العصر، ص ٢٥، ٢٨، ٥٧. وإسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين، جـ١، ص ٢٤٥. ومحمد الحبيب الهيلة، التاريخ والمؤرخون بمكة، ص٣٣٧.

(٢) عبدالله مرداد ابو الخير، مختصر نشر النور والزهر، ص ٦٣-٦٥. ومحمد الحبيب الهيلة، مصدر سابق، ص ٤٢٣، ولم يذكر سوى كنيته وإنه عاش في القرن الثالث عشر.

(٣) عبدالله بن محمد غازي، نثر الدرر بتذييل نظم الدرر، ص ٢٨، مصور.

مها السديري وعبدة الطواغيت!

زوجة نايف ملكة غير متوّجة كزوجها غير المحترم!

شغلت الرأي العام السعودي مراراً وطيلة سنوات عديدة ولم تهدأ بعد.

مرة بشأن أشرطة فيديو خاصة!

ومرة أوقفت طائرة في جدة بسلطانها، وأمرت أختها زوجة أحد أمراء قبيلة الشعلان، ولما تعنتت جاءت بأطباء حقنوها بالمخدر وأنزلوها رغماً عنها!

ومرة بفضائح في جنيف وبنوكها التي تحوي مليارات الدولارات بإسم ابنها محمد بن نايف.

ومرة بالإعتداء على خادمتها تعذيباً فظيعاً لتعترف بأنها قد سرقتها (وهي السارقة وعائلتها) وكان ذلك عام ١٩٩٥ في فلوريدا، فقامت الضجة هناك، واستطاع آل سعود إخراسها بالأموال.

وها هي اليوم تثير ضجّة جديدة في فرنسا، ويحتمل أن تنتقل عدوى خنازير آل سعود الى جنيف، اعتدنا أمثالها منها ومن أمراء وأميرات أخريات، مثل بنت الأمير عبدالرحمن نائب وزير الدفاع، وبعض بنات الملك فهد.

جوهر المشكلة أن الأميرات يتصرفن في الخارج وكأنهن في بلادهن ملكات يعملن ما يحلو لهن، مرة بالإعتداء على الخادمات، ومرة بسرقة المحلات، ومرة بعدم دفع الحسابات المترتبة على إقامتهن في فنادق جنيف وباريس وغيرهما، ومرة باستخدام وحتى ترويج المخدرات، وكأنّ العالم مجرد ملحق لقصورهن في (رياض التوحيد)!.

فندق كريلون في فرنسا يطالب الأميرة بنحو ١٠ مليون يورو، نظير اقامتها العام الماضي مع حاشيتها الطويلة والعريضة، ومصاريفها العديدة. تقول الأنباء الخاصة انها قدمت ستة ملايين يورو (نقداً!) للفندق على أمل ان تدفع جهة ما بقية المبلغ، فيما أشارت أنباء أنها دفعت كامل المبلغ بعد أن رفعت قضية ضدها بصمت. وهناك عدة فنادق في جنيف لاتزال مترددة في رفع دعاوى على الأميرة نفسها وغيرها بسبب وجود فواتير بمبالغ طائلة، وقد تتشجع بسبب (بداية) الحملة الإعلامية الأخيرة.

ما نشر حتى الآن في الصحافة الغربية يفيد بأن هناك ملاحقة من قبل المحاكم ومجموعة من المتاجر الفرنسية لمها السديري زوجة الأمير نايف بعد مضي نحو اكثر من عام على فواتير بعضها لم تدفع. وعددت الصحف أن هناك محل للملابس يطالبها بنحو ٩٠ الف يورو، ومحل ثاني قال أنه يطالبها بنحو ٧٠ ألف يورو، وهناك محل مجوهرات يطالبها بـ ٦٠٠ ألف يورو، وقال بأنه سيبدأ بإجراءات ملاحقة الأمير (النهّابة)! فضلاً عن محل بيع ملابس داخلية يطالبها أيضاً بما يصل الى ٧٠ ألف يورو، ويقول أصحاب هذا المحل الأخير بأن ابنة نايف ومهى السديري تبضعتا بنهم في مايو الماضي من محل آخر، ولم يدفعا فواتيرهما حتى الآن.

وقد انفجرت الشكاوى في وقت كانت فيه مها السديري تقيم في فندق جورج الخامس بباريس، الذي يملكه الأمير الوليد بن طلال!، في محاولة للتهرب من الدعاوى والملاحقات القضائية. وقال أحد المحامين عن محل كي لارغو بأن هناك اجراءات قضائية تسعى لوضع اليد على موجودات وأملاك تابعة للأميرة أو عائلتها.

وفعلاً صدر أمر المحكمة باقتحام مقرّها في الفندق ومصادرة ما لديها من حلي وأموال ومجوهرات لدفع الديون، لكن القنصل السعودي في باريس تلقاهم عند الباب! وقدّم لرجال الشرطة وموظفي المحكمة شيكاً بدفع كل المبالغ المطلوبة من الأميرة وتسوية جميع ديونها!

كأن الرأي العام السعودي، حتى السلفي الموالي منه لآل سعود، فرح بهذه الفضيحة، كونها على الأقل تطعن في وزير القمع نايف. وجاءت تعليقات المنتديات لتكشف عن هذا التوجّه، فكتب أحدهم: (مرة في فلوريديا، ومرة باريس، ومرة لندن، مالها محرم هالحرمة والعياذ بالله؟). وعلق آخر ساخراً: (وشلون سافرت بدون محرم، وهل ستسخر سفارة الملك طاقتها كلها وتدفع الملايين لمشتريات الأميرة بينما الشعب كله يئن تحت وطأة الفقر؟!). وسخر ثالث: (لعل هناك فتوى تجيز لهم سرقة متاجر الكافرين، خاصة أن سرقة المسلمين في السعودية من قبل الأمراء صار شرعياً)! ورابع قال: (يظنون أنهم في السعودية وأنهم معصومون ولا حسيب ولا رقيب!! الله يمهل ولا يهمل!! هذا وانتم تملكون البشر والحجر وتدخل جيوبكم مليارات ورافضين اعطاء اصحاب الحقوق حقوقهم)!



ولما انبرى أحد مخبري النت وقال بأن سيّده نايف رجل عظيم (وناصر للسنّة)! رد عليه آخر: (نتمنى من أميرك أن يطبق السنّة على نفسه وعلى امرأته)! وإذ علق موال لآل سعود: (الملك لله سبحانه يهبه لمن يشاء.. كبروا عقولكم واطيعوا الله ورسوله وتقربوا الى الله بطاعتكم لولي أمركم، تجدون كل الخير في دنياكم وآخرتكم)! رد عليه أحدهم: (بعض الناس يريدوننا أن نعتقد غصباً علينا، أن ابن سعود قدر وأنه مؤيد من الله. ما أسخفكم يا عباد الطواغيت).

عبّاد الطاغوت ـ أعمى الله بصيرتهم ـ لم يروا الكفر البواح بعد، ولن يروه!بعض الناس يريدوننا ان نعتقد غصباً علينا، أن ابن سعود قدر وانه مؤيد من الله. ما اسخفكم يا عباد الطواغيت.



- الحجاز السياسي
- الصحافة السعودية
- قضايا الحجاز
- الرأي العام
- إستراحة
- أخبار

- تراث الحجاز
- أدب و شعر
- تاريخ الحجاز
- جغرافيا الحجاز
- أعلام الحجاز
- الحرمان الشريفان
- مساجد الحجاز
- آثار الحجاز
- صور الحجاز
- كتب و مخطوطات


النسخة المطبوعة




أرشيف المجلة

إتصل بنا

(شكراً قطر) يغضب السعوديين

صانعة الحروب تثأر لنفسها في حكومة السنيورة

من يرقب ملامح وجه وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل وهو يستمع تحت قبّة البرلمان اللبناني الى كلمات الشكر والثناء التي كانت تنهال على أمير قطر ورئيس وزرائها تلفته تلك الغصة المكتومه التي حاول الفيصل كبتها ولكنها تسرّبت الى إبتسامته الغائضة، فقد وجد نفسه في أجواء ليست مريحة خصوصاً وهو يستمع إلى رئيس مجلس النواب نبيه بري الذي تعمّد في إظهار فرحته الغامرة بنجاح الدور القطري وإطرائه المتكرر على الشيخ حمد، الذي حباه بحفاوة خاصة، بعد أن ختم حوار الدوحة بعبارة إطراء متميّزة (إذا كان أول الغيث قطرة، فكيف إذا كان قطر).



(الحجاز) انفردت بكشف قصة الإنقلاب في سوريا بتمويل سعودي

هل تقوّم السعودية سياستها الكارثية؟

في 15 أكتوبر 2006، نشرت (الحجاز) مقالاً تحت عنوان (السعودية تتبنى بشكل صريح مشروع إسقاط النظام السوري)، تناول طبيعة التحركات السعودية المريبة إزاء الحكومة السورية والتي بدأت بدعوة نائب الرئيس السوري السابق المنشق عبد الحليم خدام لزيارة الرياض، حيث التقى الملك وولي العهد الأمير سلطان، وكان لقاء قد جمع رفعت الأسد، شقيق الرئيس السوري السابق حافظ الأسد ونائب الرئيس الأسبق، مع خدام في الرياض لوضع خطة إطاحة نظام الرئيس السوري بشار الأسد.


من يتآمر على الآخر؟!

وهذه الأنباء، حسب الحجاز، (جاءت في سياق أنباء أخرى حول دعوة الولايات المتحدة لرفعت الاسد من أجل مناقشة مستقبل سورية ومصير نظام الحكم فيها!!).

أربع إتفاقيات أمنية بين الرياض وواشنطن

السعودية.. قلعة إستراتيجية أميركية

بدأت تلميحات متقطعة تصدر عن الجانب السعودي بشأن إتفاقيات أمنية في أغسطس من العام الماضي، حين بدأ الحديث عن عمليات تطويرية لقوة امنية لحماية المنشآت النفطية في البلاد، قوامها ألف عنصر امني. وقال اللواء منصور التركي المتحدث الأمني بوزارة الداخلية لصحيفة (الشرق الأوسط) السعودية في 30 اغسطس 2007، بأن (هذه القوة الأمنية تأتي في إجراء يتناسب مع متطلبات المرحلة الراهنة)، وبحسب الصحيفة فإن



حول اعتقال الناشط الحقوقي متروك الفالح

دعت منظمة العفو الدولية في بيان عاجل لها (2008/5/20) الى ضرورة إطلاق سراح الدكتور متروك الفالح من السجون السعودية. ففي 19 مايو 2008 قبض على الدكتور متروك الفالح، وهو أكاديمي وناشط سعودي في مجال حقوق الإنسان، ووضع بمعزل عن العالم الخارجي في مقر المباحث العامة، وأصبح عرضة لخطر التعذيب وغيره من ضروب إساءة المعاملة.

الطيب: الوطن ليس ملكاً لفئة

أثار اعتقال الإصلاحي الدكتور متروك الفالح ردود فعل غاضبة، خاصة وأن طريقة الإعتقال بدت وكأنها اختطاف، بلا مبررات قانونية وبدون توضيح الإتهامات وبدون التواصل مع محامين أو مع عائلته. وشمل التعاطف مع الفالح عدداً كبيراً من الناشطين الحقوقيين، ومن منظمات المجتمع المدني في داخل وخارج المملكة، كما شمل العشرات من المثقفين والسياسيين.

خالد العمير... (الداخليّة) مازالت في غيّها وهي العدو!

مرة أخرى اقتيد د/ متروك الفالح من وسط مكتبه في حرم الجامعة المصون الذي لم يعد له حرمة كغيرة من الأماكن في هذا الوطن. لقد اعتقل د/ متروك الفالح عام 2004 م في نفس المكان وكانت قوات المباحث تسحبه على الأرض سحباً في مشهد يدل على حقارة مرتكبيه. كان ذنبه الوحيد أنه أراد أن يرى هذا الوطن شامخا عزيز بين الأوطان، وطن يحكمه دستور يحفظ حقوق الإنسان ويفصل السلطات ليعرف المواطن مالذي له ومالذي عليه ولكن كان جزاؤه هو ورفاقه السجن.

وداعاً مكّة!

لم يتبق إلا القليل من مكة.. التراث والتاريخ والعبق الديني.

لقد امتحنها الله امتحانات شتّى كان أشدّها سيطرة صنفين من البشر أتيا على روحها: جماعة بدوية قبليّة جاهلة لا تفهم معنى





أزياء حجازية